المكتبة الخضراء للأطفال

٥٨

الصياد ودينار السلطان



تأليف
يعقوب الشارونى

رسوم
تامر الشارونى



دار المعارف

① صيد عجيب !!

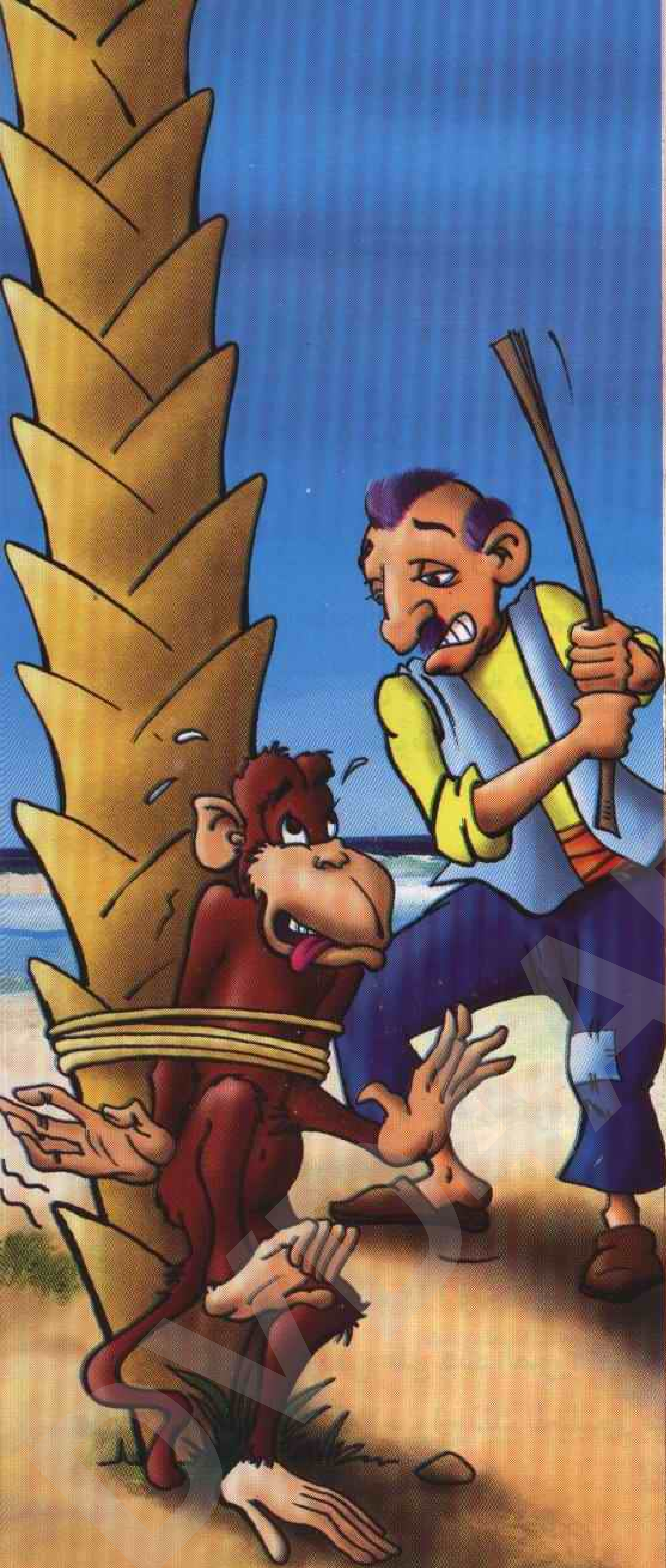
للمرّةِ العاشـرةِ جذبَ « فرحات » الصيادُ شبكتَهُ فلمْ يخرجْ بهَا شيءٌ.. تَنقَّلَ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ عَلى شـاطئِ البحرِ بالقربِ منَ الميناءِ .. غاصَ فى الماءِ بسـاقَيْهِ وحتَّى كتفَيْهِ لكنْ بغيرِ نتيجةٍ ! .. قالَ فرحات لنفسِـهِ : « كنـتُ أَنوِى أنْ أجعلَ المحاولةَ العاشـرةَ هِىَ الأخيرةَ ، لكنْ لا بأسَ مِنْ محاولةٍ أُخرى ، وإلاَّ بحثْتُ عَنْ عملٍ آخرَ أسترزقُ منه ! »

وألقَـى شـبكتَهُ فِى الماءِ وهُوَ شـبهُ واثقٍ أَنَّ الحظَّ لَـنْ يصالحَهُ فِى ذلكَ اليوم ، لكنهُ عندمَا بدأَ فِى سـحبهَا لمْ تطاوعْهُ كمَا طاوعَتْهُ بسهولةٍ عشرَ مرّاتٍ مِنْ قبلُ .. نفخَ فِى كفَّيْهِ مُتحمِّسًـا وهو يقولُ : « يبدُو أَنَّ هذَا صيدٌ كثـيرٌ .. أرجُو أَنْ يعوِّضَنى الله عَنْ جُهدِى الـذِى ظَللْتُ أبذلُهُ بغيْرِ فائدةٍ طِوالَ النهارِ ! » .

واسـتخدمَ فرحات أقصَى طَاقتِهِ ليجذبَ الشبكةَ .. لكنْ .. مَا هذَا ؟! فِى الشبكةِ شيءٌ غريبٌ لا يُشبهُ الأسماكَ ! .. شىءٌ كبيرُ الحجم لكنَّهُ أقربُ إلى حيوانـاتِ البرِّ منه إلى مخلوقاتِ البحـرِ !! وعندمَا أفلحَ أَخيرًا فِى إخراجِ شبكتِهِ أسرعَ يُوسِّعُ فتحاتِها بأصابعِهِ العشرةِ ، فلمْ يصدِّقْ مَا رأى ! .

كانَ فى الشـبكةِ قردٌ له عينٌ متورمةٌ مغلقةٌ وسـاقٌ يشـقُّها جرحٌ عميقٌ !! صاحَ فرحات ودموعُ القهرِ وضياعِ الأملِ تنحدرُ مِنْ عينيْهِ : « لم أتوقَّعْ أنْ يُسـخرَ مِنّى كُل هَذِه السـخريةِ ! .. قردٌ فِى الشبكةِ ؟!.. وما الذِى جاءَ بسـاكنٍ للبَرِّ فِى الماءِ ؟!! ويحتاجُ أيضًا إلى علاجِ عينِهِ وساقِهِ !.. هلْ هُوَ جنّىٌّ جاءَ يطاردُنى عَلى هذِه الصُّورةِ ؟! » .

وفى حذرٍ تقدّمَ لإخـراجِ ذلكَ المخلـوقِ مـنَ الشبكـةِ ، فخلَّصَـهُ منهَـا



وربطَـهُ بحبلٍ مَتـينٍ إلـى جـذعِ نخلـةٍ قريبةٍ ، انتزعَ منهَـا جريدةً غليظةً وهُـوَ يَصِرُّ عَلى أسنانِهِ ويقـولُ : « لَنْ أتـركَ هذَا المخلـوقَ الغريـبَ يعبثُ بى ، ولَنْ أتـردَّدَ فى عقابهِ إذا حاولَ أن يُجرِّبَ إحدَى ألاَعيبهِ مَعِى ! ! » .

لكنَّهُ سرعانَ ما عادَ يقولُ لنفسِهِ : « وهل أنتظرُ إلى أن يحـاولَ خداعى ؟! لابدَّ أَنْ أذيقَهُ منذُ الآنَ آلامَ لسعاتِ هذِهِ العصَا ؛ لكىْ لا يحاولَ تنفيذَ أيةِ فكرةٍ تخطرُ عَلى بالِهِ للسخريةِ منّى ! » .

والغريبُ أنه مَا إنْ رفعَ يدَهُ بقطعـةِ الجريدِ وتأهَّبَ لإنزالِهـا بقوةٍ ، حَتَّى نطقَ القـردُ مُستنجدًا : « كيفَ تفكِّرُ فِى ضَرْبـى ؟! .. أَنَا قردُ « أبو السعادات » شيخ

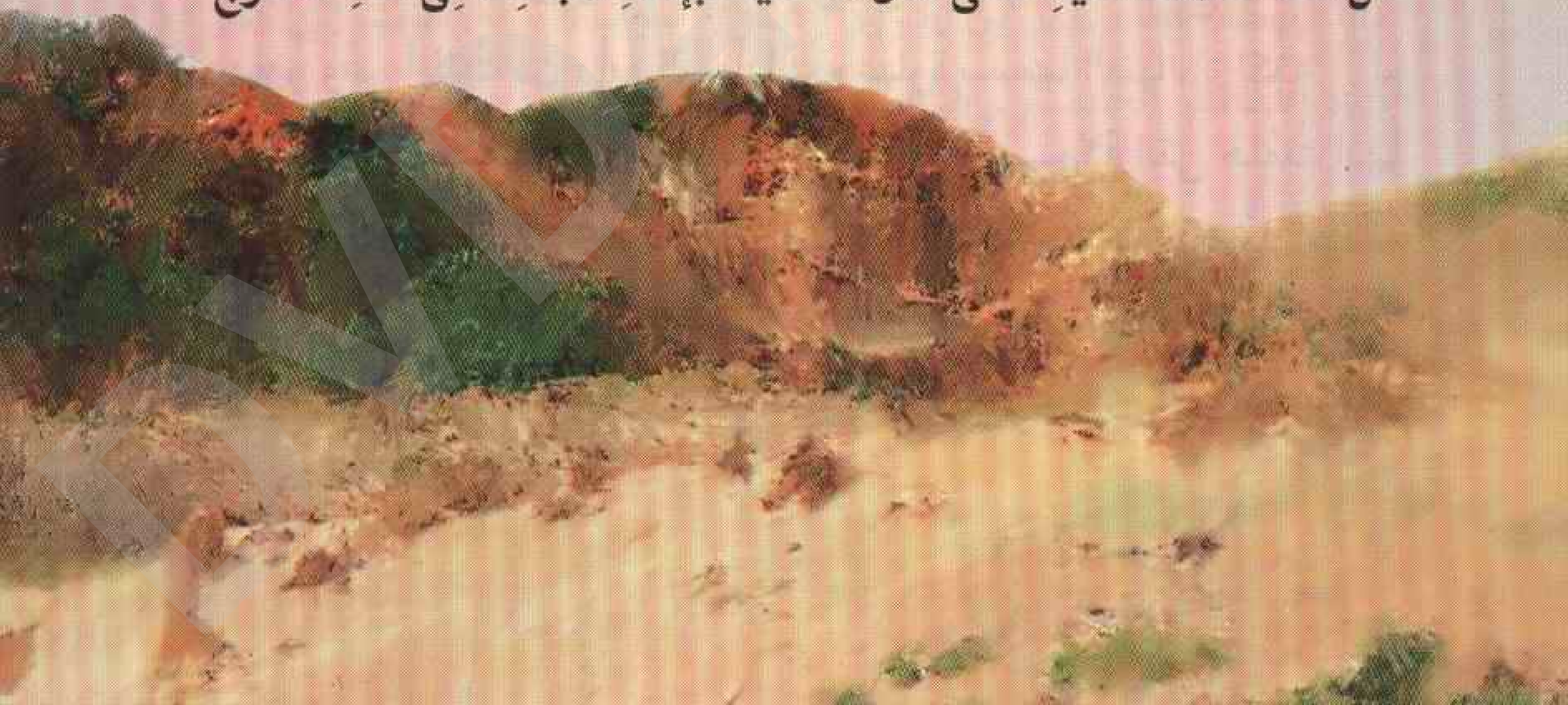
الصيارفِ !!.. كنتُ أُعطيهِ خمسةَ دنانيرَ ذهبيةٍ كلَّ صباح ومثلَها فِى المساءِ ، لكنه أَهَاننى أنا وجنسَ القرودِ كلَّها ، واتهمنَا بأننا أصحَاب عقولٍ فارغةٍ نحبُّ اللعبَ ولا نشعرُ بالمسئُوليةِ ، فلجأْتُ إلى كَهْفى تحتَ ماءِ البحرِ ، واختفَيْتُ بعيدًا عَنْ لسانِهِ السليطِ وطبعِهِ الحادِّ ! » .

وقفَ فرحات الصيادُ يُحملِقُ فى القردِ لا يُصدِّقُ أذنيْهِ ! ولشدّةِ دهشتِهِ لَمْ يجدْ إلا أَنْ يقولَ فِى سخرية : « وكيفَ وَجدتَّ إهانةً فِى تَشْبيهكم بكثيرٍ منَ الناسِ يا صاحبَ الوجهِ المليحِ والقوامِ الرشيقِ ؟!» .

صاحَ القردُ : « أقولُ لكَ إننى سبَبُ ثَرائِهِ ، فَتحاولُ إِهَانتى بسخريتِكَ أنتَ أيضًا يا صيادُ ! » .

صاحَ فرحات : « هَلْ تظنُّ أنكَ قادرٌ عَلى رَشْوتى بدنانيركَ فأُغيِّرَ ضَميرى؟! إذا كانتْ لكَ كلُّ هَذِه القوةِ السِّحريةِ لتعيشَ تحتَ الماءِ ولا تغرقَ ، وإذَا كانتْ خزائنُ الأرضِ تحتَ أمرِكَ تغرفُ منهَا الدنانيرَ بغيرِ حسابٍ ، فأنا أيضًا قادرٌ عَلى أَنْ أقولَ لكَ رأيى بغيرِ خوفٍ ولاَ نفاقٍ ! » .

هَدَأَ القردُ وهو يقولُ فِى دهشةٍ : « الآنَ فهمتُ لمَاذَا يقولُ النَاسُ عنكَ إنكَ عبيطٌ وسَاذجٌ ، فأنتَ أولُ إنسانٍ يعرفُ أَنَّ لى كلَّ هذِهِ القدراتِ ولا يتذلَّلُ أَمامِى طمعًا فى الثراءِ .. لذلكَ تستحقُّ مكافأةً تختلفُ كثيرًا عن كلِّ ما حصلتَ عليهِ حتَّى الآنَ .. عليكَ بإلقاءِ شبكتِكَ فِى الماءِ فتخرجَ لكَ



سمكة لَمْ تَرَ مثلَها مِنْ قبلُ .. قشورُها برتقاليـةٌ تلمعُ كالذَّهب ، ورأسُها أحمـرُ يتـلألأُ كالياقوتِ ، وزعانفُها زرقاءُ كلونِ السماءِ أو الفيروزِ ، فلا تسمحُ لأحـدٍ برؤيتِهَا ، بلْ خُذْها واذهبْ فورًا إلى « أبو السعادات » .. سـيحاولُ أَنْ يشـترِيَهَا منك بأىِّ سـعرٍ فلا تبيعهَا له إلا بالثمنِ الذى سَأحدّده لـكَ كَىْ أحصلَ عَلـى حُريتِى : لا تعطِهِ السـمكةَ إلا فى مقابلِ موافَقَتِـهِ عَلـى أَنْ يتركَنى لأصبـحَ تابعَكَ ، فأُعطيكَ خمسـةَ دنانيرَ فِى الصباحِ ومثلَها بعدَ الظهرِ أَوْ فِى المساءِ ! » .

② اضربوه حتى يتعلّم الأدب !

لَمْ يصدِّقْ فرحـات كلمةً واحدةً مِمَّا قالَهُ القـردُ ، فتركَهُ مربوطًا وعادَ يُلقِى شـبكتَهُ فى الماءِ . وكَمْ كانتْ دهشـتُهُ كبيـرةً عندمَـا أخرجَـتْ له الشبكةُ تلكَ السمكةَ الغريبةَ الجميلةَ التِى وصفَها القردُ ، فحملَهَا فِى قُفّةٍ وأسرعَ بهـا إلى دكانِ « أبو السعاداتِ » شيخِ الصيارفِ .

ومَا إنْ رأى الصرافُ تلكَ السـمكةَ العجيبةَ بألوانِهَا المتنوعةِ المدهشةِ، حتَّـى همسَ فِـى أُذنِ فرحات بانفعـالٍ لم يقـدرْ على منعِهِ : « هَلْ رآها أحدٌ غيرِى ؟! » .

قالَ فرحات : « عيونُ الشبكةِ لاَ ترى وآذانُ القفةِ لا تسمعُ ! » .

وبغيرِ وَعْى أفلتَتْ مِنْ « أبو السعادات » عبارةٌ سمعَها الصيادُ ، لكنَّهُ لم يهتمَّ كثيرًا بالاسـتفادةِ مِـنْ معناها : « هذِه هِىَ السـمكةُ التِى حلمْتُ أنهَا سـتكونُ سببًا فِى سَعادتى وزيادةِ ثروتِى .. » ثم أخرجَ دينارًا ذهبيًّا، قيمتُه مائة درهم بالتمامِ والكمالِ ، ناولَهُ لفرحات كأنه يُعطيه ذهبَ الدنيا كلَّهُ!.

كانـتْ تلكَ هِىَ المـرةَ الأولَى التى يلمسُ فيها فرحـات الذهبَ ، وأولَ

مـرةٍ يَـرَى الدينـارَ الذهبـىَّ اللامعَ الكبيرَ ويسـتمتعُ بثقلِهِ فى يـدِهِ، فقبضَـتْ أصابعُـهُ بقوةٍ على الدينارِ الذى استقرَّ وسطَ كفِّهِ ، والذِى يُسَاوى ثمنَ أسماكٍ يصيدهَا فِى شـهرٍ أو شـهريْنِ كامليْنِ ، واستدارَ خارجًا بغيرِ كلمةٍ واحدةٍ وهو يقولُ لنفسِـهِ : « هَذَا كنزٌ لابدَّ أنْ يراهُ أهلُ بيتِى قبلَ أَنْ أنفقَ منه درهمًا واحدًا .. » .

لكـنْ قبلَ أَنْ يصلَ إلى بابِ الدكانِ تذكَّرَ وصيةَ القردِ ، فرجعَ فِى الحالِ إلى « أبو السـعادات » وقَدْ بسطَ كفَّه ليعيدَ إليه الدينارَ وهو يصيحُ : « هل تظنُّنى مجنونًا حتَّى أوافقَ عَلى بيعِ هذِه السمكةِ بدينارٍ واحدٍ ؟! » .

وكانتْ فرحةُ « أبو السـعادات » بحصولِـهِ عَلى السـمكـةِ العجيبـةِ قَدْ أنسَـتْهُ كلَّ حرصِهِ عَلى النقودِ ، فلَمْ يتردَّدْ فِى إخراجِ دينارَيْنِ آخرَيْنِ وضعَهمـا فِى كفِّ فرحات وهو يقـولُ له : « هَذِهِ ثلاثةُ دنانيرَ يا صيادُ ، خُذْها لتنفقَ منهَا عَلَى نفسِكَ وأولادِكَ ! » .

هتفَ فرحات الصيادُ وقدِ استعادَ فى ذهنِهِ نصائحَ القردِ ، وقـد تَنَبَّهَ إلى لهفةِ الصرافِ للحصولِ عَلَى السـمكةِ : « وماذَا تسـاوِى هذِهِ الدنانيرُ الثلاثةُ فِى مقابلِ سَمَكتى التِى لا مثيلَ لَهَا ؟! » .

هُنَا ازدادَتْ دهشـةُ الصرافِ مِنْ مساومةِ الصيادِ ، لكنَّهُ لشدةِ سعادتِهِ بالسـمكةِ أعطاهُ دينارَيْنِ آخرَيْنِ وهـو يقولُ : « إذا طمعْتَ فى أكثرَ مِنْ هذِهِ الدنانيرِ الخمسةِ ، ضاعَتْ كلُّها منكَ ! » .



أحسَّ فرحـات بثقلِ الدنانيرِ الخمسـةِ فى يدِهِ ، وسمعَ صليلَها عندمَا أطبقَ كفَّيْهِ عليهَا ، وخافَ أن يُعيدَها إلى الصراف فلاَ تعودُ إليهِ ، فوقفَ يتأمَّلُها وَهُوَ يقـولُ لنفسِـهِ : « هَذِه ثروةٌ عظيمةٌ لا أظنُّ السلطانَ نفسَهُ يحصـلُ عَلَـى مثلِها فِى مقابلِ عملِ سـاعةٍ واحدةٍ ! » .. ثم أطبقَ أصابعَهُ عَلى الدنانيرِ وتأهبَ ليخرجَ مِنَ الدكانِ ...

وفجأةً احتلَّتْ كلماتُ القردِ كلَّ تفكيرِهِ ... سيعطيهِ القردُ خمسةَ دنانيرَ كلَّ صباحٍ وخمسـةً كلَّ مساءٍ ، فكيفَ يخالفُ نصيحةَ القردِ ؟! وفى الحالِ التفتَ إلَـى الصرافِ ، وألقَـى الدنانيـرَ عَلَى المائدةِ الصغيرةِ التِى كانَ الرجلُ يجلسُ أمامَها وقالَ فِى عصبيةٍ : « خُذْ دنانيرَكَ وأعْطِنى سَمَكتى ! » .

صـاحَ به أبو السـعـادات : « هـل جُننْتَ يا صيادُ ؟! ترفضُ خمسـةَ دنانيرَ ذهبًا ثمنًا لسمكةٍ لاَ تساوى غيرَ دراهمَ معدودةٍ ؟! » .

قالَ الصيادُ فِى عِنادٍ : « أنتَ تحاولُ خِداعى يا شيخَ الصيـارفِ .. أنا أعرفُ قيمةَ سمكتِى ولنْ أبيعَها بذهبٍ ولا فضةٍ ! .. » .

ضحكَ شيخُ الصيارفِ ساخرًا : « إذَنْ ما الذِى تريدُهُ ثمنًا لهَا ؟ » ،

هنَـا تذكَّرَ الصيادُ مَا يُعانيه كثيـرًا مِنْ عبثِ الأغنياءِ بهِ ، ومنْ تلاعُبِ أصحابِ السـلطةِ برزقِهِ وهـو يبيعُ لَهُـم السـمكَ ، وكأنَّ مِنْ حقِّهـم أخْذَ مَا يريدونَ بغيرِ مُقابلٍ ، فقالَ فِـى إصرارٍ : « لا أبيعُها إلا بعبارةٍ تقولُها بأعْلَى صوتِكَ ، لكى يسمعَها كلُّ أهلِ السوقِ ويكونُوا شهودًا عليكَ ! » .

مَا إنْ سمعَ شيخُ الصيارفِ هذه العبارةَ حتى احمرَّتْ عيناهُ مِنَ الغَيْظِ ، وصاحَ وقد اشـتدَّ غضبُـهُ : « إننى أبيعُ وأَشْترى بـآلافِ الدنانيرِ بغيرِ شهودٍ ! .. كيف تجرؤُ مِنْ أجلِ سمكةٍ واحدةٍ أن تُشكِّكَ فى صدقِ وعُودِى ، وتطلبُ شهودًا على عبارةٍ تخرجُ مِنْ فَمِى ؟! » .

ثـم التفتَ إلى عُمَّالِهِ وصاحَ فيهم : « ألا تسـمعونَ هـذِه الإهاناتِ التِى يُوجِّهُها لِى هَذا الصعلوكُ المُفلِسُ وسطَ السوقِ بصوتِهِ القبيحِ المُرتفعِ ؟! هَيَّا.. اربطوهُ بالحبالِ واضربوهُ حتَّى يتعلَّمَ الأدبَ وهو يخاطِبُ أسيادَهُ ! » .

وبسرعةٍ تَجمَّعَ عُمَّالُ الصرافِ حولَ فرحات ، وَانهالُوا عليه يضربونهُ بقبضاتِ الأيدِى وأقدامِ الأرجلِ إلى أَنْ سقطَ عَلى الأرضِ فاقدَ الوَعْى !.

وعندمـا أفـاقَ نزلَتْ دموعُهُ منَ الإحسـاسِ بالقهرِ وهـو يقولُ : « إذا كنْتَ تظنُّ أنكَ قادرٌ عَلَى أخذِ بضاعةِ الناسِ بالضربِ يا شـيخَ الصيارفِ ، فاضربْنى كما تشاءُ ! » ...

قالَ شيخُ الصيارفِ مُؤنّبًا : « أنا لَمْ آمرْ بضربكَ إلا لمحاولتِكَ التشكيكَ فِى ذِمتى ! » .. تَنهَّـدَ فرحات وهُـوَ يقولُ فِى حَيْرةٍ : « أنا صيادٌ لا أفهمُ شيئًا فِى أُمورِ الذمَّةِ هذِه ، ولا أعرفُ معنى التشكيكِ فيهَا ! » .



ضحكَ شيخُ الصيارفِ مِنْ سذاجةِ فرحات وقلةِ خبرتِهِ وقالَ : « إذَنْ مَا الذِى أردْتَ أنْ أقولَهُ أمامَ الناسِ ؟! » ..

قالَ الصيادُ : « أريدُ أن تجمعَ أهلَ السوقِ ، وتُعلِنَ أمامَهم أنكَ توافقُ عَلَى أَنْ تُعطِيَنى قردَكَ ، وتأخذَ فِى مقابلِهِ هَذِه السمكةَ ! » .

فوجِئَ شيخُ الصيارفِ عندمَا سمعَ الصيادَ يذكُرُ القردَ ، لكنَّهُ سرعانَ مَا سيطرَ عَلَى مشاعرِهِ ، وانطلقَ يقهقهُ وهُوَ يقولُ : « أَمَّا قردِى فقدْ ضاعَ مِنِّى ، وإذَا وجدْتَهُ فهو مِلْكٌ لكَ » . كانَ شيخُ الصيارفِ يقولُ هذَا وهو يعرفُ جيدًا أَنَّ قردَهُ يرفضُ بإصرارٍ أَنْ يعودَ إليه ، كَمَا كانَ واثقًا أَنَّ السمكةَ العجِيبةَ ستكونُ مصدرَ خيرٍ له أكثرَ مِنْ ذلكَ القردِ المتمردِ ! .

③ سيد البحر والبر !!

انصرفَ فرحات مِنْ دكانِ « أبو السعادات » ، واتجهَ مباشرةً إلى شاطئِ البحرِ ، حيثُ تركَ القردَ مربوطًا إلى النَّخْلةِ . قالَ القردُ بغيرِ مُقدِّماتٍ : « أعرفُ أنكَ تحقَّقْتَ مِنْ صدقِ كلِّ كلمةٍ قلْتُها لكَ ! » ..

قالَ فرحات فِى لهجَةٍ حاسمَةٍ : « أنتَ الآن تَابعى ، ولَمْ أحصلْ منكَ عَلَى دنانيرَ ولا دراهمَ ! » .

ضحكَ القردُ وقال : « الأمرُ يعتمدُ عليكَ ! » .

صاحَ فرحات غاضبًا : « لا تتلاعبْ بِى مثلَ غيرِكَ يا قردُ !! .. أنتَ إذن تتراجعُ عَنْ وعدِكَ !! .. لن أطلِقَ سراحَكَ أبدًا ! » .

ارتفعَ فِى الحالِ صوتُ قهقهاتِ القردِ وهو يقولُ : « أنتَ سريعُ الانفعالِ شديدُ الغضبِ يا فرحاتُ ، ولا تصبرْ حتَّى تسمعَ بقيةَ حَديثى .. فِى كلِّ صباحٍ تُلقِى شبكتَكَ مَرَّةً فتُخرجُ لكَ سمكًا تبيعُهُ بخمسةِ دنانيرَ ،



وَفِـى كلِّ مسـاءٍ أو بعدَ الظهرِ تُلقِـى الشـبكةَ مرةً أُخْـرى فتجدُ أمامَكَ سمكًا تبيعُهُ بخمسةِ دنانيرَ أُخْرى ! » .

حاولَ فرحات أَنْ يتحكَّمَ فِى غضبهِ وهو يقولُ باسـتنكارٍ : « صيدٌ مرةً أُخرى يا قردُ ؟! .. فهمْتُ أنكَ ستُعطينى الدنانيرَ فِى يدِى ! » ..

عـادَ القـردُ يضحـكُ ويقـولُ : « هكذَا بغيـرِ مجهودٍ يا عـمِّ فرحات يا صيادُ ؟! هل تُريدُ أَنْ أعطِيَكَ إحسـانًا فتصبحَ إنسـانًا كسـولاً متواكلاً لا يحترمُهُ أحدٌ ؟! هلْ نسـيتَ كيفَ كنتَ تقضِى اليومَ كلَّهُ ترمِى الشبكةَ فلا تفوزُ بسمكةٍ واحدةٍ ؟! » .

أحسَّ فرحات بالخجلِ ، لكنه معَ ذلكَ تركَ القردَ مربوطًا وألقَى شبكتَهُ فى الماءِ . وعندمَا جذبَها وجدَها شـديدةَ الثقلِ ، ولمَّا أخرجَها بعدَ مشقةٍ

وجدَ بهَا كميةً كبيرةً مِنَ الأسماكِ يزيدُ ثمنُها عَلَى خمسةِ دنانيرَ ، فأسرعَ يفكُّ قيودَ القردِ وهو يقولُ له : « قَالُوا فِى الأمثالِ [مَنْ عضَّهُ الثعبانُ يخافُ مِنَ الحبْلِ] ، كما قالوا [المُفسِدونَ فى الأرضِ لَمْ يتركُوا مكانًا للثقةِ فِى الصالحينَ] ، فاعذرْنى يا صَديقى القِرْد ! » .

قالَ القردُ : « هذه أمثالٌ تتبادلُونهَا عنْ بنِى الإنسانِ ، فلماذا تُريدُ تعميمَ هَذِه الأحكام المُبالَغ فيها علينا معشرَ القرودِ ! » .

ثم تَمهَّلَ القردُ قبلَ أن يُضيفَ : « وتذكَّرْ يا صيادُ .. إذا علَّمْتَ شخصًا الصيدَ بدلاً منَ البطالةِ وتضييعِ الوقتِ فيمَا لا يُفيدُ ، ضاعفْتُ لكَ ربحَكَ ... لكنْ إياكَ والكسلَ .. إذاَ تكاسلْتَ مرةً واحدةً عَنْ إلقاءِ شبكتِكَ فى الصباحِ أو المساءِ ، يتوقَّف عطائى لكَ إلى الأبدِ .. لكن لا تطلبْ مِنّى شيئًا أكثرَ مِنَ السمكِ .. وإذا عاكسَكَ شىءٌ ، ضَع الشبكةَ حولَ جسمِكَ وقُلْ : « يا سيدَ البحرِ والبرِ » ، فَسأَطلع لكَ فِى الحالِ » .

ولم ينتظرِ القردُ العجيبُ ليسمعَ أىَّ تعليقٍ ، بل أسرعَ يهبطُ إلى الماءِ ليختفِىَ داخلَ كهفِهِ السرىِّ ! .



٤ يتدرّب على الدفاع عن نفسه !!

قبلَ أن تشْرقَ شمسُ اليوم التالى ، كانَ فرحَات يُلقِى « شبكةَ الصَّباح » فى الماءِ ، وسرعَانَ مَا أخرجَها وَقدِ امْتلأتْ بالسَّمكِ . وَجَاءتْ سَيدةٌ فاشْترَتْ مِنْهُ بدِينَارٍ ، ثُم أقبلَتْ أُخْرى فَاشْـترَتْ بدينارٍ آخرَ . وقبلَ أن تنقضِىَ سَـاعةٌ ، بَاعَ السـمكَ كلَّهُ بخمسةِ دنانيرَ ، فعادَ إلى بيتِهِ بعدَ أن اشْترى لِبَيْتِهِ كميَّاتٍ كبيرةً مـنَ الطعام والفاكهـةِ والحلْوى ، وقضَى الصباحَ فِـى بيتهِ مَعَ أختهِ وأولَادِهَا الذِى أصبَحَ هُوَ عَائِلُهم بعدَ وفَاةِ أَبِيهِمْ . كَأنهم فِى يوم عيدٍ . وبعدَ الظهرِ ألقَى « شبكةَ المساءِ » ، وباعَ ما اصطادَهُ بخمسةِ دنانيرَ أُخـرى ..

وَهكَذَا استمرَّ يعمـلُ ساعةً فى الصباح وساعةً مثلَها بعدَ الظهرِ أو فى المساءِ ، يبيعُ ما يصيدُ ثُمَّ يضعُ الفائضَ عَنْ حاَجةِ عائلتِهِ فى صندوقٍ صغيرٍ .

وبعدَ أسبوعَيْنِ فتحَ خزانتَهُ الصغيرةَ فوجدَ بها مائةَ دينار ! .. كانتْ هَذِه بالنسبةِ لصيادٍ فقيرٍ مثل فرحَات ثروةً طائلةً لا يحلمُ بها أمثالُهُ أبدًا ! !

قالَ فرحات لنفسِـهِ : « إذا عرفَ رجالُ السلطانِ أنَّ عندى مائةَ دينارٍ ، سـيطمعـونَ فيهـا ويفعلـونَ مَعِـى مَا يفعلونهُ مَعَ بقيةِ التُّجَّارِ ، فيطلبونَ اقترَاضَها ولا أراهَـا بعـدَ ذلكَ أبـدًا ! .. وإذا رفضْـتُ أو أنكـرْتُ وجـودَ مـالٍ عنـدِى ، طاردَنـى رجالُ الغراماتِ والضرائبِ ، وعذَّبونى بالضربِ إلى أنْ يأخذوهَا حتَّى آخِرِ درهم ، وقدْ « يجرجرونى » إلى مجلسِ السلطانِ فيحكمُ بقطعِ رَقبتى .. يجبُ أنْ أستعدَّ منذُ الآنَ لمواجهةِ مثلِ هذَا المَصِيرِ ! » .

لذَلِـكَ انتظرَ حَتَّى نامَ كلُّ أهلِ بيتِهِ ، ثُمَّ بحثَ عَنْ أبعدِ مكانٍ فِى البيتِ ، وحفرَ حفرةً عميقةً وضعَ فِى قاعِها صُرَّةً بهَا تسعونَ دينارًا أخفاهَـا بالتراب .. وعندما اقتربَ الرَّدْمُ مِنْ سطحِ الأرضِ ، دفنَ صرّةً أُخْرى بها عشرةُ دنانيرَ

وهُوَ يقولُ لنفسِهِ : « إذَا وجدُوا العشرةَ دنانيرَ لَنْ يبحثُوا عَنِ التسعينَ ! » .

ثم وقفَ أمامَ مرآةٍ يصرخُ ويصيحُ : « لا تصدِّقْ كلامَ الناسِ عنّى يا مولاىَ السلطانَ .. أنا لا أملكُ دراهمَ ولا دنانيرَ ! » .

وأقلقَ صوتُهُ أحدَ جيرانِهِ ، فصعدَ فوقَ سطحِ بيتِهِ يستطلعُ مصدرَ ذلكَ الصوتِ الذِى يتألمُ صاحبُهُ ويستغيثُ ، وقد تصَوَّرَ أَنَّ اللصوصَ يُعذِّبونَ أحدَ جيرانِهِ؛ ليعترفَ لَهُم بالمكانِ الذِى أخفَى فيه أموالَهُ ..

وكَمْ كانتْ دهشتُهُ شديدةً، عندمَا شاهدَ فرحاتَ الصيادَ يُمثِّلُ كيفَ يبكِى ويصيحُ أمامَ المرآةِ ويُنكِرُ أنه يملكُ شيئًا مِنَ المالِ ! ! .

صاحَ الجارُ يسألُهُ : « لماذَا هذا التظاهرُ والتمثيلُ يا صيادُ ؟! السلطانُ يملكُ أموالاً تملأُ مخازنَ تَتَّسعُ لألفِ فيلٍ ومائةِ حوتٍ ! ! كيف تظنُّ أنه فِى حاجةٍ إلى درهم واحدٍ ممَّا تملكهُ فانطلقت تُزعِجُ جيرانكَ بصراخِكَ ! » .

وظلَّ الجارُ يتلَطَّفُ مَعَهُ إلى أنْ جعلَهُ يكفُّ عنِ التَّدرُّب عَلى الدفاعِ عَنْ نفسِهِ .

ومعَ ذلكَ لمْ يستطعِ فرحاتُ النَّوْمَ .. لقد ظلَّ يَقِظًا خشيةَ أَنْ يتسلَّلَ لصٌّ إلى بيتِهِ .. كانَ يقولُ لنفسِهِ مرةً بعدَ أُخرى : « بَلْ قَدْ يقتلُنى اللصوصُ للاستيلاءِ عَلى هذِه الثروةِ الكبيرةِ التى ادَّخَرْتُها فِى أسبوعَيْنِ فقطْ ، والتِى لَنْ يستطيعَ أىُّ صيادٍ آخرَ الحصولَ عَلى مثلِها خلالَ حياتِهِ كلِّها ! ! » .

⑤ نَسِىَ أينَ أخفَى ملابسَهُ !!

فِى صباحِ اليوم التالى استعدَّ فرحات للخروجِ لإلقاءِ « شبكةِ الصباح »، لكنَّهُ خافَ أنَ يتركَ « ثروتَهُ » فِى البيتِ فَيسرقَها اللصوصُ ، لذلكَ أخرجَها مِنْ مَخبئِها ، ووضعَها فِى كيسٍ مِنَ الجلدِ ربطَهُ بحبلٍ حولَ وسطِهِ تحتَ ملابسِهِ . وعندمَا ألقَى شبكتَهُ فِى الماءِ ثُم بدأ يجذبُها كمَا اعتادَ ،

لَمْ تطاوعْهُ ! وفَهِمَ أنها تشـابكَتْ مَعَ بعضِ أعشابِ قاعِ البحرِ ، فاضطرَّ أن ينزلَ لتخليصَهَا بعدَ أن نزعَ ثيابَهُ وأخفاهَا فِي مكانٍ غيرِ ظاهرٍ .

وعندما صعدَ بشـبكتِهِ فارغةً إلى الشاطئِ ، واستعدَّ ليلقِي شبكةَ الصباحِ مرةً ثانيةً ، اكتشـفَ أنَّ الحبلَ الذى ربطَ بهِ كيسَ نقودِهِ حولَ وسـطِهِ قدِ انقطعَ ، وأنَّ ثروتَهُ كلَّها ضاعَتْ وسطَ الماءِ ! ! .

طارَ عقلُهُ فاندفعَ يلطُمُ خدَّيْهِ ، ثم ألقَى بنفسِهِ فِي البحرِ يبحثُ عَنْ أموالِهِ ، يغطسُ ويطْفُو إلى أنْ هدَّهُ التعبُ ، فعادَ إلى الشـاطئِ وَقَدْ نسِـىَ تمامًا – بسببِ الصَّدمةِ – أينَ أخفَى ملابسَهُ ! ! ولَمْ يجدْ أمامَهُ إلا الشبكةَ فالتفَّ بهَا ، وانطلقَ يسيرُ بغيرِ هدفٍ عَلى طُولِ الشاطئِ يندبُ سوءَ حظِّهِ وضياعَ ثروتِهِ ! .



وفجـأةً تَذكَّرَ القـردَ ، فتَوقَّفَ وصاحَ بأعلى صوتِهِ : « يا سـيدَ البحرِ والبرِ ! ».. فانشقَّ سطحُ الماءِ وظهرَ القردُ بعينِهِ المُصابةِ وساقِهِ المجروحةِ...

وقبـلَ أنْ يفتـحَ فرحات فمَـهُ بكلمـةٍ ، قـالَ القـردُ فِـى لهجـةٍ حاسمةٍ : « لقد وعدْتُكَ بالسمكِ ، أما الصيدُ والمحافظةُ عَلَى المالِ ، فهذهِ مسئولياتُكَ أنتَ يا فرحات يا صيادُ ! ! » .

وبغيرِ كلمةٍ أُخرى قفزَ القردُ إلى الماءِ ، وغطسَ فيه ...

ووسـطَ مجموعـةٍ متقاربةٍ منْ أشجارِ النخيلِ ، ظـلَّ فرحات يلقِى بنفسِـهِ مرةً عَلَى الأرضِ وقد هدَّهُ الحزنُ ، ومرةً أُخرى يقومُ ليجرىَ هنا وهناكَ باحثًا عَنْ ثيابهِ ، فلا يجدُ الثيابَ ولا يكفُّ عَنِ البكاءِ ! ! .

٦ لم تصل العباءةُ إلاَّ إلى رُكبَتَيهِ !!

وكانَ السلطانُ قَـدْ خرجَ معَ الفجرِ إلى نفسِ ذلكَ المـكانِ المُجاورِ للميناءِ الكبـيرِ لدولتِـهِ ، بعـدَ أنْ قضـى ليلةً بكاملِهَـا فى قاعةٍ بعيدةٍ عَـنْ جناحِ النساءِ فِى القصرِ السـلطانىِّ ، يسـتمعُ إلى مُغنيةٍ اسمُها « قـوتُ القلوبِ » استحوذَتْ عَلَى إعجابهِ . كانَ قَدْ نسِىَ كلَّ شىءٍ عَنْ أمورِ الحكْمِ بعدَ أن استمرَّ شهرًا كاملاً يسهرُ كلَّ ليلةٍ يستمعُ إليهَا وإلى الموسيقَى المصاحبَةِ لَهَا ! .

وكانَ طبيعيًّا أنْ تشـكُوَ زوجةُ السلطانِ مِنَ انصرافِ زوجها عنهَا ، وقَدْ شعرَتْ بالغيرةِ الشديدةِ لاهتمامِهِ المبالغِ فيه بتلكَ المُغنّيَةِ ! .

وَفِى ذلكَ الصباحِ خرجَ السـلطانُ مُتنكرًا فِى ملابسِ التُّجّارِ ، مُصطحِبًا وزيرَهُ للقيامِ بجولةٍ عَلَى ظهورِ الخيلِ ، لعلَّ زوجتَهُ تظنُّ أنه كان يقضِى الليلَ فِى تفقُّدِ أحوالِ الرعيةِ واستطلاعِ حياةِ شعبهِ ! .

ولمحَ الوزيرُ شخصًا يمشِى ذاهِلاً عمَّا حولَهُ ، يظهرُ مرةً من خلفِ النخيـلِ

ويختفِى خلفَهُ مرةً أُخرى ، فقالَ للسلطانِ : « هَلْ يسمحُ مولاىَ أَنْ أستدعِىَ ذلكَ الرجلَ صاحبَ المظهرِ الغريب ، لعلَّنَا نجدُ عِنْده حكايةً مُسلِّيةً ؟! ».

قالَ السلطانُ : « بَلْ انتظرْ أَنتَ هنَا إلى أَنْ أذهبَ أنا إليهِ فأكتشفَ حقيقتَهُ .. » .

وعندمَا اقتربَ السلطانُ مِنْ فرحات ، أوقفَ حصانَهُ وأخذَ يتأمَّلُ ذلكَ الرجلَ الذِى لا يُغطِّى جسَمهُ إلا شبكتُهُ ، وقَدِ احمرَّتْ عيناهُ لكثرةِ بكائِهِ حزنًا عَلَى دنانيرِهِ الضائعةِ ، فسألَهُ : « هَلْ يُمكِنُ أَنْ أعرفَ صنعتَكَ ؟ » .

وَفِى سخريةٍ وضيقِ خُلُقٍ قالَ فرحات : « أليسَ فِى وجهِكَ عَيْنانِ ؟!.. انظرْ جيدًّا فترى أهمَّ أدواتِ عَمَلى حولَ جِسْمى ! » .

قالَ السلطانُ ساخرًا وهُوَ يبالغُ فِى إظهارِ دهشتِهِ : « صحيحٌ أنت تحملُ شبكةَ صيادٍ ، لكنَّكَ تستخدمُها بدلاً مِنَ الملابسِ ! » .

صاحَ فرحات متسائلاً فِى حدَّةٍ واتهام : « مَا مناسبةُ حديثِكَ عنِ الملابِسِ ؟!.. الآنَ فهمْتُ غرضَكَ مِنْ أسئلَتِكَ الغريبةِ !.. مَاذا فعلْتَ بجُبَّتى وعمَامتِى وحِزَامى ؟! » .

كانَ الهمُّ يسيطرُ عَلَى فرحاتَ؛ لأنه لَمْ يعثرْ عَلى المكانِ الذِى أخفَى فِيه ملابسَهُ ، وتَصوَّرَ أَنَّ الذى يُخاطِبُهُ قَدْ وجدَها ، فثارَتْ ثائرتُهُ وأمسكَ لجامَ جوادِ الرجلِ الذِى وقفَ أمامَهُ وهو يصيحُ : « أنتَ الذِى سرقْتَ مَلابسى .. لَنْ أتركَكَ قبلَ أَنْ تُعيدَها أو آخذَ روحَكَ بدلاً منهَا ! » .



كانَ الكلامُ يتناثرُ كالسهامِ مِنْ فمِ فرحَات ، وقد أمسكَ لجامَ الحصانِ بإحدى يدَيْهِ وعصاهُ بالأُخرى . وكانَ النخيلُ يُخفِى السلطانَ والصيادَ بعيدًا عَنْ سمْعِ الوزيرِ وعينيْهِ ، فخَشِىَ السلطانُ أن يُصيبَهُ أذًى مِنْ غضبِ ذلكَ المتشردِ ، فتَوقَّفَ عَنِ السخريةِ وقالَ مُهدِّئًا :

« أنَا لَمْ أسرقْ ملابسَكَ لكننِى وجدتُّهَا ، وتوقَّعْتُ أنْ يعثرَ عليها غيرى فيأخذَها ، لذلكَ نقلْتُها إلى مكانٍ أكثرَ أمانًا .. وإذَا وافقْتَ أذهبُ بحصَانى وأحضرُهَا لكَ .. » .

كانَ السلطانُ يتصوَّرُ أنه بهذهِ الحيلةِ سينجُو منْ قبضةِ ذلكَ « المجنون » الذى قَابله ، لكنَّ فرحات كانَ قَدْ أحَسَّ فورًا بتغيُّرِ لهجةِ راكبِ الحصانِ مِنَ السخريةِ والتعالِى إلى اللِّينِ والتوَاضُع ، فتركَ ثورتَهُ تتزايدُ وهُوَ يقولُ مُهدِّدًا : « إذَا لم تُرجِعْ لِى مَلابسى سأضربُكَ حتَّى تعجزَ عَنِ المَشْى ! » .

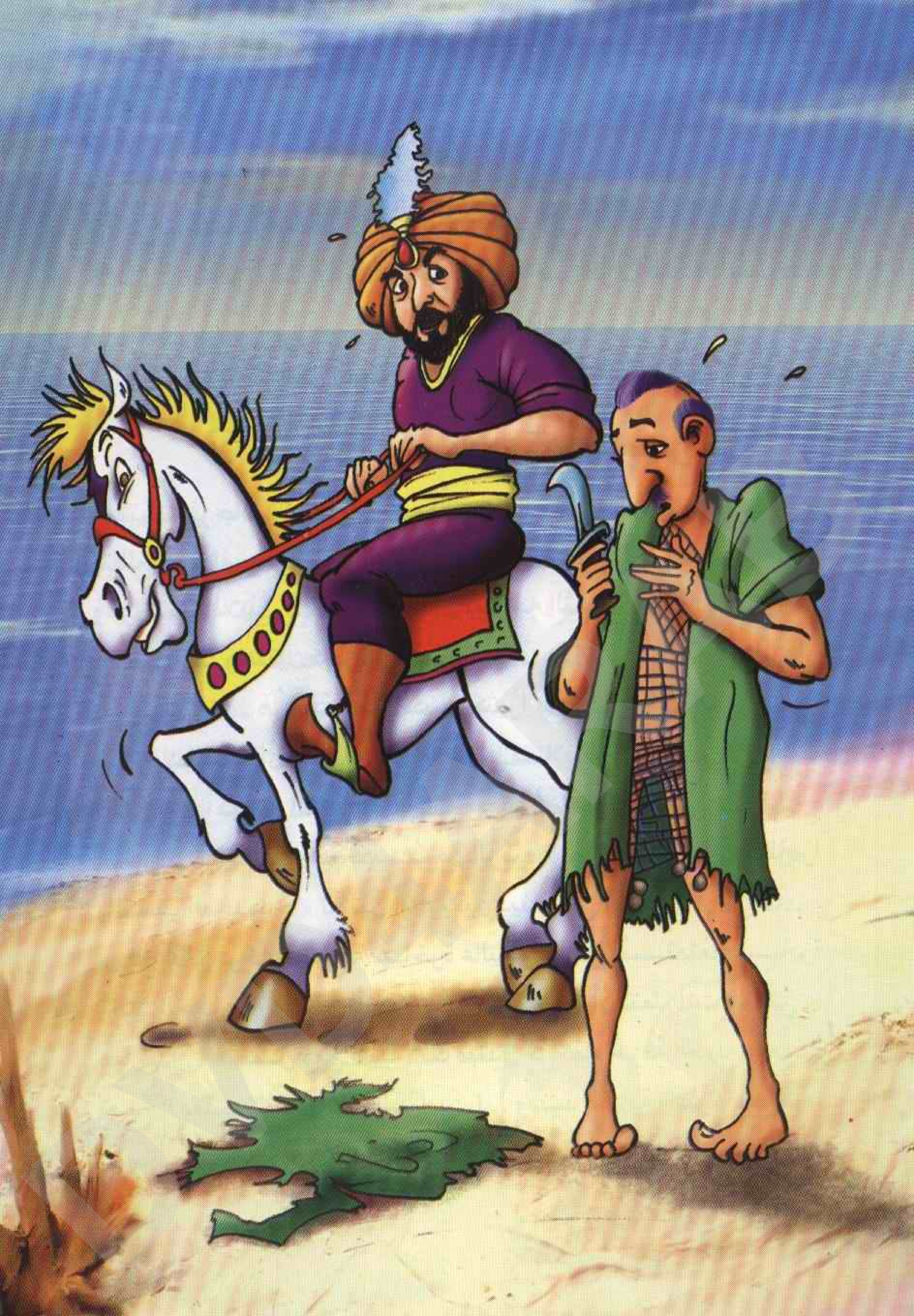
قالَ السلطانُ لنفسِهِ فِى قلقٍ : « لقد خاطرْتُ بالاقترابِ وحدِى مِنْ هذا المخْبُول ! » .. ثم قالَ لفرحات بصوتٍ مسموع : « سأعطيكَ عباءتِى هذِه بدلاً مِنْ ملابسِكَ التِى سأعودُ بها إليكَ بعدَ قليلٍ ! » .

ثم خلعَ عباءتَهُ المصنوعةَ مِنْ أفخرِ الأقمشةِ والمزخرفةِ بخيوطِ الذهبِ والفضةِ ، وأعطاهَا لفرحات .

وأمسكَ فرحات بالعباءةِ يتحسَّسُها وهو يراقبُ راكبَ الحصانِ بطرفِ عينِهِ ويقولُ : « هَذِه ملابسٌ مزخرفةٌ لا تصلحُ إلا لشابٍّ صغيرٍ .. لا أريدُ إلا ثيابِى لأنهَا عَلى مَقَاسى ! » ..

قالَ السلطانُ فى صبرٍ : « لكنك تستطيعُ ارتداءَ هذهِ العباءَة مؤقتًا ! » .

عندئذٍ أخذَ فرحات العباءَةَ ولبسَها ، فوجدَها طويلةً تغطِّى قدمَيْهِ ، فخلعَها فِى ضيقٍ .. ثم تَمهَّلَ قبلَ أن يُخرِجَ مِنْ قفتِهِ خنجرًا ! .



وأحسَّ الصيادُ بمَا أصابَ راكبَ الحصانِ منْ رعبٍ عندما شاهدَ الخنجرَ ، وشـعرَ بنوعٍ منَ الراحةِ لأنه استطاعَ لأولِ مرةٍ فِى حياتِه أَنْ يجعلَ واحدًا مِنْ هؤلاءِ المُتعالينَ يخافُ ، فاعتزمَ أَنْ يستمرَّ فِى إثارةِ رعبِه وغَيْظِه ! .

لذلـكَ انحنَى وقطعَ بالخنجرِ جزءًا كبيرًا مِـنْ طرفِ العباءةِ ليُقصِّرَها وصاحبُها يراقبُهُ فِى أسفٍ ! .. ثُمَّ رَمَى فرحات الجزءَ الذِى قطعَـهُ عَلى الأرضِ ... وعندمَا لبسَ العباءةَ لَمْ تصلْ إلا إلى ركبتَيْهِ ! ! .

⑦ أنت زمَّار ، وأنصحك أن تتعلّم الصيد !!

تَنبَّـهَ فرحات الصّياد إلى أنـه لَمْ يتعرَّفْ عَلى صاحـبِ تلكَ العباءةِ ، فتَطلَّعَ جيدًا إلى وجهِ الرجلِ الذِى يركبُ الحصانَ ، وقالَ فِى سخريةٍ خفيَّةٍ وهو يتأمَّلُ الملابسَ الفاخرةَ والحصانَ بِسَرْجِهِ الثمينِ :

« أرى لكَ وجنتَيْنِ كبيرتَيْنِ وفمًا صغيرًا .. هذا يدلُّ أَنَّ النفخَ فِى المزمارِ هُوَ عملُكَ ! ! .. هَلْ أنتَ زمَّارٌ تكسبُ كثيرًا مِنْ حفلاتِ الأغنياءِ ؟ » .

ضحكَ السلطانُ وقدْ رأى ، حرصًا عَلى سلامتِه ، أَنْ يسايرَ فرحات ، فقالَ له : « نَعَمْ .. أَنَا أعملُ زمَّارًا ، ويُمكِنُ أَنْ أُعلِّمَكَ صَنْعتى ! » .

سـأَلَهُ فرحات : « كَمْ تكسـبُ مِنَ الزَّمْرِ ؟! « .. قالَ السلطانُ مُتظاهرًا بالمكْسبِ المحدودِ : « ثلاثينَ أو أربعينَ دينارًا فِى الشهرِ ! » .

هُنا أَطلقَ فرحات ضحكةً سـاخرةً عاليةً وهو يقولُ مُستمتِعًا بمسـايرةِ راكبِ الحصانِ له : « إذَنْ فأنتَ مسكينٌ ، وأنصحُكَ أَنْ تتعلَّمَ أنتَ صَنعتى .. هيَّا نبدأُ .. ستعمـلُ مَعِى صبيًّا لأنكَ مُبتدِئٌ فِى تَعَلُّمِ حرفةِ الصيدِ ، بعدَها تُصبحُ [معلـمًا] ثُمَّ [شيخ الصَّيَّادينَ] .. ومنـذُ البدايةِ تشتركُ مَعِى فيما أكسـبُ مِنَ الصيدِ ، وإذا تعاونْتَ مَعِى بإخـلاصٍ يُمكِنُ أَنْ يتضاعفَ دخلُنا

فنربحَ كلَّ يوم عشرينَ دينارًا بدلاً مِنَ العشرةِ التِى أكسبُها الآنَ ! » .

وفكرَ السلطانُ قليلاً وقَدْ أعجبَتْهُ فكرةُ التَّدرُّبِ عَلَى مهنةٍ رئيسيةٍ منتشرةٍ فِى بلدِهِ ، فنزلَ عنْ حصانِهِ ، وسرعانَ ما كانَ يتعاونُ معَ فرحات فِى جذبِ « شبكةِ الصَّبَاح » منَ الماءِ . وعندمَا نجحَا فِى جذبها بعدَ مجهودٍ كبيرٍ ، وَجَدَا أنهَا امتلأَتْ بالأسماكِ .

قَالَ فرحات يُعَنِّفُ « صبيَّهُ » : « قُمِ الآنَ بشىءٍ مُفيدٍ .. خُذْ حصانكَ واذهبْ إلى السوقِ واشترِ لنَا « قُفتين » كبيرتَيْنِ ننقلُ فيهمَا السمكَ إلى هناكَ ونبيعُهُ ، ثم نقتسمُ ثمنهُ » .

ولم يتركِ السلطانُ هَذِه الفرصةَ التِى لاحَتْ له أخيرًا ليهربَ منَ المأزقِ الذِى وضعَ نفسَهُ فيه ، فلَمْ يتردَّدْ فِى امتطاءِ حصانِهِ ، وعادَ مسرعًا إلى المكانِ الذِى تركَ فيه وزيرَهُ . وكانَ القلقُ قدِ اشتدَّ بالوزيرِ لتأخُّرِ السلطانِ فِى العودةِ ، فقالَ لمولاَه عندمَا رآهُ : « خشيتُ أَنْ يكونَ هناك خطرٌ مَا ، فأسرعْتُ باستدعاءِ الحرسِ والجنودِ .. الحمدُ للهِ عَلَى سلامتِكَ يا سيدى » .

وَفِى كلماتٍ قليلةٍ قصَّ السلطانُ عَلَى وزيرِهِ مَا حدثَ وأنهَى قصتَهُ ضاحكًا : « والصيادُ ينتظرُ الآن عَوْدتى مَعَ [القُفف] !! وأَرى أَنْ تطلبَ مِنَ الحُرَّاسِ والجنودِ أَنْ يذهَبُوا إليهِ وَيَشْتروا كلَّ مَا فِى شبكتِهِ كلَّ سمكةٍ بدينارٍ » .



⑧ وجد أكوامًا من الدنانير !!

جلسَ فرحات عَلى الأرضِ وأسندَ ظهرَهُ إلى جذعِ نخلَةٍ ، وانهمكَ يجمعُ حولَ جسمِهِ أطرافَ العباءةِ الثمينةِ التِى أخذَها مِنْ راكبِ الحصانِ ، واستغرقَ فِى حُلْمِ يقظةٍ يقولُ فيهِ لنفسِهِ : « الآنَ أصبحَ لِى صبىٌّ .. وعندمَا يكثرُ عُمَّالِى، وتتضاعفُ أرباحِى كما قالَ القردُ ، أُصبحُ شيخًا للصيادينَ ! » .

لكنَّهُ أفاقَ - رغمًا عنه - منْ أحلامِهِ عندمَا فوجِئَ بفريقٍ كاملٍ مِنْ فرسانٍ عَلَى خيولِهِم وَمَعهم جنودٌ عَلَى أقدامِهم يُحيطونَ بِهِ ! .. كانَ أوَّلُ مَا خطرَ عَلَى ذهنِهِ أنَّ كلَّ مخاوفِهِ تتحقَّقُ ! .. قالَ لنفسِهِ فى هلَعٍ : « راكبُ الحصانِ أبلغَ عنّى رجالَ السلطانِ بعدَ أنْ جعلْتُهُ صبيًّا لى وشريكًا فِى أرباحِى .. لقدْ عرفَ الحاكمُ أننِى أكسبُ فِى اليومِ عشرةَ دنانيرَ .. رَغْبتى فِى تعليمِ الصيدِ للعاطلينَ الكسالَى منَ الأثرياءِ كشفتْ سرِّى وأضاعَتْ عُمرى ! » .

لذلكَ عندمَا تَقدَّمَ إليه أحدُ الفُرسَانِ قائلاً : « نحنُ مِنْ رجالِ السلطانِ جئْنا نشترِى مَا معَكَ منْ سَمَكٍ .. كلَّ سمكةٍ بدينارٍ » ، ظنَّ فرحات أنهم يُريدونَ التأكّدَ مِنْ مقدارِ مَكاسبِهِ ، فاندفعَ يصيحُ ويُلوِّحُ بذراعيْهِ علامةَ الرفضِ ويقولُ : « لَنْ أبيعَ سمكةً واحدةً إلَى أنْ يحضرَ شَريكى حتَّى وَلَوْ دفعْتُم لِى ألفَ دينار ثمنًا لكلِّ سمكةٍ ! » .

وحاوَلُوا إقناعَهُ أَنْ يبيعَ لَهُم السمكَ ثم يُحَاسِب شريكَهُ بعدئذٍ ، لكنَّ مخاوفَهُ جعلَتْهُ يُصِرُّ على رأيِهِ ... وكأنمَا أرادوا أَنْ يُقنِعوه بصدقِ مَخاوفِهِ ، فَقَدْ هَجمُوا عَلَى الشبكةِ واستولُوا عَلى مَا بهَا منْ سمكٍ بالقوةِ ! ..

ومَا إنْ شاهدَ فرحات هجومَهم وَمَعَهم سيوفُهم ورماحُهم حتَّى اعتقدَ أنَّهم لصوصٌ وقُطَّاعُ طُرقٍ قَدْ تخفَّوا فِى زِىِّ حُرَّاسِ أمنٍ ، فَغافلهم



وملأ حِجْرَهُ ببعض السمكِ، وانطلقَ يجرى هاربًا بحياتِهِ ، ولَمْ يتوقَّفْ إلا عندمَا أصبحَ أبعدَ مِنْ أَنْ يراهُ المُهاجمونَ ! .

أما الفرسانُ والجنود فقد ترك كلُّ واحدٍ منْهم بجوارِ مَا بقى مِنَ السمكِ عددًا منَ الدنانيرِ يُسَاوى عددَ ما أخذَ مِنْ أسماكٍ ، وابتعدُوا راجعينَ إلى قصرِ السلطانِ .

وعندمَا عادَ فرحات إلى المكانِ الذِى هربَ منه ، ثارتْ دهشتُهُ بغيرِ حدودٍ عندمَا وجدَ أكوامًا منَ الدنانيرِ بجوارِ بقيةِ السمكِ ، ولَمْ يفهمْ كيف جاءتْ إلى ذلكَ المكانِ ، فقالَ لنفسهِ : « يستحيلُ أَنْ يتركَ قُطّاعُ الطرقِ كلَّ هذِه الثروة وَرَاءهم ! » ثُمَّ بدأَ يتحسَّسُهَا ويفحصُهَا ، وحاولَ عَدَّها ، لكنَّهُ كانَ يُخطِئُ العدَّ ، فيبدأ العَدَّ مِنْ جديدٍ ! !

⑨ إمَّا أن آخذ رأسك أو آخذ السمك !!

وكانَ « صندل » رئيسُ حرسِ السلطانِ مُكلفًا بمهمَّةٍ ، فَتأَخَّرَ عَنْ زُمَلائِهِ الفرسانِ الذينَ ذهبُوا لشراءِ السمكِ . وعندمَا وصلَ إلى الشاطئِ لَمْ يتنبَّهْ إليهِ فرحات لانشغالِهِ بعَدِّ الدنانيرِ . وَمَا إنَ أحسَّ أخيرًا بوجودِ الفارسِ حتَّى قفزَ واقفًا وقَدْ رفعَ عصاهُ دفاعًا عن نفسِهِ وعَنْ ثروتِهِ التِى هبطَتْ عليه بغيرِ حساب ! .

قالَ له الفارسُ صندل رئيسُ الحرسِ مُهدئًا : « لا أُريدُ إلا شراءَ كلِّ ما تَبقَّى معَكَ مِنْ سمكٍ ، كلَّ سمكةٍ بدينار ! » .

قالَ فرحات : « أنا لا أبيعُ بالأجلِ .. أَتسلَّمُ الثمنَ فتتسلَّمُ السمكَ ! ».

وبحثَ الفارسُ عَنْ كيسِ نقودِهِ فلَمْ يجدْهُ ، فقالَ لفرحات : « أعْطِنى السمكَ ، ثُمَّ تعالَ إلى قصرِ السلطانِ واطلبْ مقابلةَ « صندل » رئيسِ

الحرَسِ ، فأُعطِيَكَ ضِعْفَ ما تطلبُ مِنْ دنانيرَ ! » .

لكنَّ مخاوفَ فرحات مِنْ سرعةِ النسيانِ التِى تلازمُ رجالَ السلطةِ خاصةً عندما يتعلَّقُ الأمرُ بديونٍ لابدَّ أَنْ يُسدِّدوها جعلَتْهُ يقولُ : « لمْ أتعوَّدْ أَنْ أبيعَ إلا نقدًا .. اذهبْ وارجعْ بالثمنِ وَإلاَّ فلَنْ أسلِّمَ إليكَ سمكةً واحدةً ! » .

ولَمْ يسمحْ رَئيس الحرسِ « صندل » لنفسِهِ أَنْ يرجعَ إلى القصرِ، ويدُهُ فارغةٌ مِنَ السمكِ الذِى طلبَهُ السلطانُ ، فأمسكَ فرحات مِنْ شعرِ رأسِهِ وقالَ مُهدِّدًا : « عليكَ أَنْ تختارَ : إمَّا أَنْ آخذَ رأسَكَ ، أو آخذَ ما معَكَ مِنْ سمكٍ ! » .



وهكـذا تحققَتِ للمرةِ الثانيةِ فى ذلكَ الصباح مخاوفُ الصيادِ ، فهمسَ لنفسِـهِ وهو يرتجفُ ويُسلِّمُ للفارسِ كلَّ ما معهُ مِنْ سمكٍ : « كنتُ أعرفُ أَنَّ رجالَ السلطةِ لَنْ يُغيِّروا أبدًا طريقتَهم لتحقيقِ أغراضِهم ! » .

١٠ حبة عنب وقفت فى حلقها !!

عندما وصلَ السـلطانُ إلى قصرِهِ بعدَ أَنْ غابَ عنـه طِوالَ النهارِ ، تَقدَّمَ لاستقبالِهِ المُشرِفُ عَلَى شئونِ القصرِ ، وعلاماتُ الحزنِ ظاهرةٌ عَلَى وجهِهِ ، وقدِ التمعَتْ دمعةٌ تنحدرُ عَلَى خَدَّيْهِ .. انقبضَ قلبُ السلطانِ وأسرعَ يسألُهُ فِى فزعٍ : « هَلْ حدثَ شيءٌ لزوجتِنَا السلطانةِ أو لأحدِ الأبناءِ ؟! ! » .

تَرَدَّدَ المُشرِفُ ولَمْ يَقُلْ شيئًا .. وأدارَ السلطانُ بصرَهُ فوجدَ كلَّ مَنْ حولَهُ يبكونَ ويرفضونَ أَنْ يتكلَّمُوا ، فصاحَ فِيهم غاضبًا وقَدْ عصفَ بِهِ القلقُ :

« إذَا لم ينطقْ أحدُكُم فِى الحالِ بمَا حدثَ ، أمرْتُ بقطعِ ألسـنتِكُم التِى فقدَتْ فجأةً القدرةَ على الحديثِ ! » .

استجمعَ المُشرِفُ شجاعتَهُ وقالَ : « إنها قوتُ القلوبِ يا مولاى ! » .

أحسَّ السـلطـانُ كأَنَّ سهمًـا انغرسَ فِى قلبِهِ فصاحَ فِى هَلَعٍ : « إيَّاكُم أَنْ تقولُـوا إنَّ شيئًا حـدثَ لهَا ! » .

تلعثَـمَ المُشـرِفُ وهو يقولُ : « كانتْ تأكلُ حبّـاتِ عنقودٍ منَ العنبِ ، فوقفَتْ حبةٌ فى حلقِهَا .. » .

صاحَ السلطانُ غير مُصدِّقٍ وقد تجمَّعَتِ الدموعُ فى عينيْهِ : « هذَا الشبابُ والجمالُ تقضِى عليهِ فِى لحظةٍ حبةُ عنبٍ ؟! .. مستحِيلٌ ! » .

أضافَ المُشـرِفُ فِى اكتئابٍ : « وَقَـدْ عرَفْنا يا مولاى أنكَ خرجْتَ مُتنكرًا مَعَ الوزيرِ ، فتفضَّلَتْ مولاتُنا السلطانةُ وقامَتْ بكلِّ مَا يجبُ القيامُ



به .. بَلْ أمرَتْ بإعدادِ قبرٍ جميلٍ لَهَا فِي حدائقِ القصرِ ، وأشرفَتْ بنفسِها عَلَى كلِّ الإجراءاتِ الواجبةِ ... » .

أحسَّ السلطانُ بالدنيا تُظلِمُ أمامَ عينيْهِ ، وطلبَ أن يُرشِدوه إلى مكانِ قبرِ مغنيتِهِ المفضّلَةِ والدموعُ تنحدرُ غزيرةً مِنْ عينيْهِ .. وهناكَ قضَى ساعاتٍ يبكِي ... وعندمَا خيَّمَ الظلامُ ، عادَ إلى غرفتِهِ وقَدْ هدَّهُ الحزنُ ، فلم يستطعِ النَّوْمَ ، كَمَا فقدَ كلَّ رغبةٍ فِي طعامٍ أو شرابٍ ...

(١١) توصلت إلى خطة لإبعادها !!

أما السلطانةُ فقدْ أمضَتْ ليلتَها والفرحةُ لا تسعُها لنجاحِ حيلتِهَا فِي التخلُّصِ منْ تلكَ المغنيةِ ، الَّتِي شغلَتْ زوجَها السلطانَ عَنْ كلِّ واجباتِهِ ومسئولياتِهِ كحاكمٍ وزوجٍ ! فتوصَّلَتْ إلى خطةٍ لإبعادِهَا عَنْ عينَيْ زوجِهَا .. وعندمَا عرفَتْ أنَّ زوجَها السلطانَ قَدْ خرجَ مَعَ وزيرِهِ فِي الصباحِ الباكرِ ، أرسلَتْ إلى قوتِ القلوبِ تدعوهَا إلى جناحِهَا قائلةً : « سمعْتُ الكثيرَ عَنْ جمالِ صوتِكِ ، وأودُّ أَنْ أستمعَ إلى شيءٍ مِنْ غنائِكِ » .

وبينمَا قوتُ القلوبِ تُغنّى فِي جناحِ الزوجةِ والأبناءِ الصغارِ ، كانتِ السلطانةُ تقولُ لنفسِهَا : « إذا لمْ أنجحْ فِي تدبيرى ، سأفقدُ كلَّ مكانتى عِنده ! » .

لذلكَ طلبَتْ مِنْ إحْدى وَصيفاتِها المُقرَّباتِ أَنْ تضعَ خفيةً نوعًا مِنَ المُخدِّرِ القويِّ فِي إحدَى قِطَعِ الحلْوى . ثُمَّ قامَتِ السلطانةُ بتقديمِ تلكَ الحلْوى بنفسِها إلى قوتِ القلوبِ وَهِيَ تقولُ لهَا : « يكفى مَا تناولْتِ منْ عنبٍ .. تذوَّقى هذه الحلْوى الفاخرةَ التِي لا يعرفُ سرَّ صناعتِها إلا وصيفاتُ السلطانةِ ! » .

وعندما فقدَتْ قوتُ القلوبِ الوَعْىَ ، أطلقَتْ وصيفاتُ السلطانةِ الصرخَاتِ تُعلِنُ وفاتَها اختناقًا بسببِ حبَّةِ عنبٍ ، ثُمَّ أمرَتِ السلطانةُ بنقلِهَا

إلـى إحْدى غُرَفِها الخاصّةِ لإعدادِهَا للدَّفن .

وهنـاكَ أرقدَتْها داخلَ صنـدوقٍ كانتْ قَدْ أعدَّتْهُ مِنْ قبلُ ، وأغلقَتْهُ مَعَ تركِ فتحاتٍ غيرِ ظاهرةٍ يدخلُ منها الهواءُ .

ثـمِ أمـرَتْ أحـدَ خدمِهَـا المُخلصينَ بأخذِ الصندوقِ سرًّا إلى الميناءِ، بغيرِ أنْ تُصرِّحَ لَهُ بحقيقةِ مَا فيهِ ، وأن يبيعَهُ بأىِّ ثمنٍ، بشـرطِ عدمِ فتحِهِ ، لشـخصٍ تكونُ سفينتُهُ مُسـافِرةً فى الحالِ .. ولمَنْ يشتريهِ أنْ يفتحَهُ بعدَ يومٍ مِنْ إبحارِ السفينةِ وابتعادِهَا عنِ الميناءِ ...

كانتْ تعرفُ أنَّ السُّفُنَ الشراعيةَ تستغرقُ فى كلِّ رحلةٍ شهورًا عَلَى سطحِ الماءِ قبلَ أن تصلَ إلى أولِ ميناءٍ ، فقالَتْ لنفسِها : « قبلَ أن تضعَ المغنيَةُ قدمَها فوقَ اليابسِ مرةً أخرى ، يكونُ السلطانُ قَدْ نَسِيَها ! ».



وَفِـى الوقـتِ نفسِـهِ أمـرَتِ السـلطانةُ بإعدادِ قبرٍ فى حدائقِ القصـرِ نقلُوا إليه فِى صندوقٍ آخرَ مَا أعلنُوا أنه جسـدُ قوتِ القلوبِ ، فَصَدَّقَ ذلكَ كلُّ مَنْ حولَها . ولما رجعَ السـلطانُ وعلمَ بمـوتِ قوتِ القلوبِ ، لم يتشكَّكْ فى صحّةِ الخبرِ الذى صدَّقَهُ كلُّ مَنْ فِى القصرِ ! .

⑫ سيظن أنه أمام صبيه الزمّار !!

لم ينـسَ فرحات الصيـادُ أنَّ « صندل » رئيسَ الحـرسِ لَمْ يدفعْ ثمنَ ما أخذَ مِنْ سمكٍ ، فَمَا إن انتهَى منْ إلقاءِ « شبكةِ الصباحِ » فِى فجرِ اليومِ التَّالى وباعَ مَا اصطادَ منْ سمكٍ ، حَتَّى عادَ إلى بيتِهِ لِيُخفِى ثروتَهُ الجديدةَ فِى حفرةٍ كَمَا فعلَ مِنْ قبلُ ، وانطلقَ إلى قصرِ السلطانِ .

وَمـعَ أنه ذكرَ اسـمَ « صندل » ، فإن هيئتَهُ الفقـيرةَ الَّتِى حرصَ عَلَـى

عـدم تغييرِهَا لكـىْ لا يُثيرَ أطماعَ السلطةِ ورجالِها ، حملَتْ حُرَّاسَ القصرِ عَلَى عدمِ السماحِ له بالدخولِ ، فوقفَ عندَ المدخلِ الخارجىِّ ينتظرُ .

وفجَـأةً وجَـدَ فرحات فرقةً مِـنَ الفرسـانِ تخـرجُ مِـنَ القصرِ وعَلَى رأسِها « صندل » ، الذِى سبقَ أَنْ قالَ عَنْ نفسِهِ إنَّهُ رئيسُ الحرسِ وهـدَّدَهُ بقطـعِ رقبتِهِ ليستـولِىَ عَلَـى سمكِهِ ! ! وبسرعةٍ اندفعَ فرحات يتشبَّثُ بلجـامِ فرسِ صندل ويصيحُ : « أين الدَّيْنُ الذِى لِى عندَكَ ؟! هَلْ تظنُّ أننِى أتركُ لكَ حقِّى لمجردِ أنكَ تعملُ فِى قصرِ السلطانِ ؟! » .

فلمَّا سمـعَ « صندل » ذلكَ الصراخَ ، تَذَكَّرَ الصيـادَ وضحكَ مِنَ اندفاعِهِ وسـذاجَةِ تصرُّفاتِهِ ! وقبلَ أن يمدَّ يدَهُ لإخراجِ كيسِ نقودِهِ ، ظهرَ الوزيرُ فِى مدخلِ القصرِ ونَادى يستـدعِـى « صنـدل » ، فأسـرعَ رئيـسُ الحـرسِ يُلبِّـى نـداءَ سيـدِهِ الوزيرِ ، تاركًا الصَّيادَ واقفًا يُحمْلقُ غيرَ فاهمٍ مَا يحدثُ أمامَـهُ ! وظنَّ فرحـات أَنَّ رئيسَ الحرسِ « صندل » يحـاولُ الفرارَ لِكَىْ لاَ يدفعَ ثمنَ مَا استولَى عليهِ مِنْ أسماكٍ ، فتمَلَّكَهُ الغضبُ ، لكنه اضطرَّ إلى الانتظارِ حتَّى يُنهِىَ حديثَهُ مَعَ الوزيرِ ..

ولمَّا طَالَ انتظارُهُ ، اندفعَ كالسهمِ حتَّى وقفَ خلفَ الفارسِ وأمسكَ بكتفِـهِ يهـزُّهُ ويقـولُ : « لمـاذَا هَـذِهِ المُماطَلةُ ؟! .. مَتَى تدفعُ ثمنَ السمكِ الذِى وعدْتَ بدفعِهِ ؟! » .. عندئذٍ اشـتعلَ غضبُ رئيسِ الحرسِ مِنْ هَذِهِ المقاطعةِ ، ومِنَ اللَّهجـةِ العنيفـةِ الَّتِـى حدَّثَـهُ بهَا فرحات ، فَتأهَّبَ لضربِهِ وطردِهِ .. لكنَّ الوزيرَ أسرعَ يسألُهُ : « مَا حكايةُ هذَا الرجلِ معكَ ؟! » .

وعندمَـا حكَى صندل حكايتَـهُ مَعَ الصيادِ ، ضحكَ الوزيرُ وقالَ لصندل وهُوَ يغمزُ لهُ بطرفِ عينِهِ : « لا يصحُّ أنْ تُماطِلَ هذَا الصيادَ المسـكينَ ! » . ثمَّ أمـرَ بإكرامِ الصَّيادِ ، مَعَ التحفُّظِ عليـه فِى إحْدى غُرَفِ الحرسِ إلى أن

ينقلَ خبرَهُ إلى السلطانِ ، لعله يتعزَّى عَنْ فقدِ المغنيةِ قوتِ القلوبِ ويعودُ إليه الابتسامُ والضحكُ ..

سألَ السلطانُ الوزيرَ : « هَلْ عرفَ الصيادُ أَنَّ صَبيَّهُ الذِى كانَ يُعلِّمُهُ الصيدَ بالأمسِ هُوَ السلطانُ نفسُهُ ؟ » أجابَ الوزيرُ : « أظنُّهُ لا يعرفُ ! .. وحتَّى إذَا رآكَ الآنَ يا مولاى لَنْ يخطرَ عَلَى بالِهِ إلا أنه أمامَ صبيِّهِ الزمَّارِ ! » .

قالَ السلطانُ : « إذنْ لا ضررَ مِنْ إحضارِهِ أمامَنا ، فقد يُسلِّينا بشيءٍ مِنْ سذاجتِهِ وصراحتِهِ ! » .



⑬ لماذا حبسوك فى هذا القصر يا زمّار ؟!

خرجَ الوزيرُ يبحثُ عَنْ فرحاتَ ، فوجدَهُ يصيحُ ويتعاركُ مَعَ الحُرَّاسِ الذِينَ تحفظُوا عَليه .. كانَ يقولُ لَهُم : « ألا يكفيكُم أنَّ رئيسَكُم أكلَ حقِّى بعدَ أَنْ أكلَ سَمكى ؟! أنتم الذينَ تَستحقُّونَ هذَا الحبسَ .. لكننِى سَأنسى هذَا إذا أطلقْتُم سراحِى وإلاَّ عاقبْتُكم عندمَا أُصبحُ شيخًا للصيادين ! » ..

فلمَّا سمعَ الوزيرُ كلامَ فرحات ضحكَ وقالَ مُتلطِّفًا : « لقد جئْتُ بنفسِى لأعطيَكَ ثمنَ السمكِ وزيادةً » . ثُمَّ أمسكَ بيدِهِ وأخذَهُ مَعَه إلَى القاعةِ الكُبرى حيثُ يوجَدُ السلطانُ ، مُتنقِّلاً به أثناءَ الطريقِ مِنْ قاعةٍ صُغرى إلَى قاعةٍ أكبرَ ، وكلُّ قاعةٍ تنطقُ بالثراءِ والفخامةِ .

وعندما دخــلا القاعةَ الكُبرى ، رفعَ الوزيرُ الســتارَ عَنِ الجانبِ الذِى يجلــسُ فيه الســلطانُ وحولَهُ رجــالُ دولتِهِ ، فتصَوَّرَ فرحــات أنه يزيحُ الســتارَ عَنْ منصَّةٍ كالتِى شاعَ اســتخدامُها فِى الموالدِ والأسواقِ؛ لكىْ يرَى الناسُ فوقَها عروضَ فِرَقِ الزَّمَّارين والرقصِ والتشخيصِ ! .

قــالَ الوزيــرُ لفرحــات : « تَقــدَّمْ يــا صيادُ لتحيــةِ مولانَا الســلطانِ المُعظَّم .. ! » .

وتَصــوَّرَ فرحــات أنَّ كلَّ هذَا نــوعٌ منَ التمثيــلِ يقصدونَ بــه اللعبَ معه أو السخريةَ منه ، فقد اعتادَ هذَا الأسلوبَ فِى تعامُلِ « المتعالين » معه ، لذلكَ مَا إنْ وقعَتْ عيناهُ عَلى مَنْ أطلقُوا عليهِ لقبَ « السلطان » وهو جالسٌ عَلى أريكةِ العرشِ ، حَتَّى هجمَ عليهِ واحتضنهُ وهُوَ يهتفُ : « أين أنتَ يا زمَّارُ ؟! هَلْ يصحُّ أَنْ تتركَنى أحرسُ السمكَ وَلاَ تَرْجع بالقفتَيْنِ مــنَ الســوقِ ؟! » .

ورغمَ أحزانِهِ ابتسمَ السلطانُ وهُوَ يقولُ : « هلْ جئتَ تحملُ لِى نصفَ ثمنِ السمكِ كَمَا اتفقْنا ؟ » .

وعندمَــا سمعَ فرحات هَذِه الإجابةَ ، تَأكَّدَ أنــه أمامَ زمَّار يقومُ بدورِ الســلطانِ ، فقالَ مازحًا : « الذنبُ ذنبُكَ يــا زمارُ ! .. أنتَ ضَيَّعْتَ حقَّكَ وحقِّى بسببِ عدمِ رجوعِكَ بالقفتَيْنِ ! .. أين كنْتَ عندمَا هاجمَنى فرسانٌ وجنودٌ كثيرونَ وهَدَّدونى بســيوفِهم واســتولَوْا عَلى كلِّ السمكِ وَهَربوا ، ولمَّا جئْتُ الآن أطلبُ حَقِّى مِنْ أحدِهم حَبسونِى ؟! » .

ثم تَلَفَّتَ حولَهُ وأضافَ : « لكنْ لماذَا حبســوكَ أنتَ أيضًا فِى هَذا القصرِ يا زمارُ ؟! » .

ولَمْ يتمالَكِ السلطانُ نفسَــهُ مِنَ القهقهةِ لسذاجةِ الصيادِ ، وشاركَهُ فِى الضحكِ بقيةُ الحاضرينَ ...

⑭ هذا زمن معكوس !!

وأرادَ السلطانُ أَنْ يَتَزَيَّدَ فى الترفيهِ عَنْ نفسِهِ ، فأجلسَ الصيادَ بجوارِهِ عَلَى أريكةِ الحُكْم ، وقدَّمَ إليه كيسًا فيهِ أوراقٌ وقالَ له :

« أدخِلْ يدَكَ يَا مُعَلمى فِى هذَا الكيسِ وخُذْ ورقةً واحدةً منه .. وَفِى كلِّ ورقةٍ كتابةٌ تُحدِّدُ لنا مَا الذِى يجبُ أَنْ نفعلَهُ بمنْ يختارُها ؟ إذَا كنْتَ مِنْ سُعَداء الحظِّ فَقَدْ تكونُ مكافأتُكَ مِنْ دينارٍ إلى ألفِ دينارٍ ، وإنْ لَمْ تكُنْ مِنْ أصحابِ الحظِّ السعيدِ فقدْ يكونُ نصيبُكَ الضربَ مِنْ جَلْدةٍ إِلَى مائةِ جلدةٍ .. أَوْ حتَّى القتلَ وقطعَ رقبتِكَ بالسيفِ ! » .

فلما سمعَ فرحات كلامَ « السلطان / الزمار » ظنَّهُ يمزحُ ، فقالَ : « يظهرُ أنكَ لَمْ تُفلحْ فِى عملِكَ زمَّارًا ولا صيَّادًا ، والآنَ تُريدُ أَنْ تُصبحَ مُنجِّمًا أو باحثًا عَنِ الحظِّ والبختِ بهذِه اللُّعْبةِ ! » .



كانَ فرحات يزدادُ يقينًا مرةً بعدَ أُخرى أَنَّ « المتعالين » وأصحابَ السلطةِ ، مثل الوزير ، يجدونَ أفضلَ مُتْعتِهم عندمَا يسخرونَ مِن « الغلابةِ » أمثالِه ويلعبونَ بِهِمْ ! ! ووجدَ فرحات كلَّ مَنْ حولَهُ يُشجِّعونَهُ عَلَى أَنْ يلعبَ تلكَ اللعبةَ القاسيةَ المخادعةَ التِى اقترحَها « الزمارُ » ، ولَمْ يتصوَّرْ لحظةً واحدةً أنه يُمكِنُ تنفيذُ مثل تلكَ الحظوظِ الخطرةِ ، فوضعَ يدَهُ فِى الكيسِ ، وأخرجَ ورقةً قرأَهَا السلطانُ ، ثُمَّ قالَ للصيادِ ضاحكًا :

« أنتَ مِنْ أهلِ الحظِّ السعيدِ يا صيادُ .. لقد نجَّاكَ اللهُ مِنْ قطعِ رقبتِكَ ، وسنضربُكَ مائةَ جلدةٍ فقط ! ! » .

وظنَّ الصيادُ أَنَّ « الزمار » يمزحُ معه ، فقالَ ضاحكًا هُوَ أيضًا :

« هذَا نصيبٌ لَنْ يتحمَّلَهُ ظهرِى يا زمارُ ، لكنَّ الإنسانَ لا يهربُ مِنْ حظِّهِ .. والرَّأىُ عندِى أَنْ تتركَنى أسحبُ ورقةً أُخرى منَ الكيسِ ، فقدْ أحصلُ عَلَى نصيبٍ يُعوِّضُنى عَنِ الضربِ الذِى اختارَهُ لِى سوءُ حظٍّ يُصِرُّ عَلى مُلازمتى كلمَا تصوَّرْتُ أنه فَارقَنى ! » .

فتَشاورَ السلطانُ معَ الوزيرِ ثُمَّ أعلنَ قرارَهُ : « ليسَ هناكَ مانعٌ مِنْ تناولِكَ ورقةً واحدةً أُخرى مِنَ الكيسِ ، ثُمَّ نُنفِّذُ الحُكْمَيْنِ معًا ! » .

ولمَّا أخرجَ فرحات الورقةَ الثانيةَ ، قرأَ السلطانُ بصوتٍ مُرتفعٍ مَا جاءَ بِهَا : « امنحُوا صاحبَ هَذِه الورقةِ دينارًا واحدًا ! » فأخرجَ السلطانُ مِنْ كيسٍ بجوارِهِ دينارًا أعطاهُ لفرحات الصّيادِ ، وفِى نفسِ الوقتِ أمرَ الحُرَّاسَ الواقفينَ حولَهُ بضربِهِ مائةَ جلدةٍ ! ! قالَ فرحات مُستسلمًا لِحظِّهِ :

« هَذَا زمنٌ معكوسٌ .. تمنحونَ دينارًا كاملاً لتأخذُوا سمكةً ، ثُمَّ تُعطونَ نفسَ الصيادِ مائةَ جلدةٍ ولا يأخذُ منكُمْ إلا دينارًا واحدًا ! » .

وبينمَا الحُرَّاسُ يضربونَ فرحات المائةَ جلدةٍ التِّى حرصُوا أَنْ تكونَ هيِّنةً

خفيفـةً ، كانَ الصيـادُ يقـولُ لنفسِهِ وهو يتطلع فِى عتاب إلى الوزير :

« هـذا نـوعٌ آخرُ مِنْ لَهْوِ السَّـادةِ بالغلابَةِ الفقراءِ .. ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ ! » لذلك كانَ حريصًا عَلى كتمانِ صرخاتِ الألمِ ، لكىْ يحرمَ هؤلاءِ السادةَ مِنَ التمتعِ بمزيدٍ منَ الضحكِ عليه والسخريةِ منه ! ! .

وبعـدَ أن انتهَـى الجلدُ ، قادُوا فرحات ليخرجُوا بهِ منْ قصرِ السـلطانِ ، فشـاهدَ فِـى طريقِهِ رئيسَ الحرسِ صندل ، وَفِى الحـالِ انفلتَ مِنْ بينِ أيدِى حراسِـهِ وأمسـكَ بخناقِهِ وهو يصيحُ : « أنت سـببُ مَصائبى وجَلْدِى ... لَنْ أتركَكَ حتَّى آخذَ حقِّى منكَ ! » .. وكانَ صندل قَدْ عرفَ كيفَ جعلَ السـلطانُ ورجالُهُ مِنْ فرحاتِ الصيادِ تسليةً لهم ، فأرادَ التخفيفَ عنه بإعطائِهِ كيسًا به مائةُ دينارٍ وهو يقولُ له : « هَذِه الدنانيرُ ثمنُ السمكاتِ الَّتِى أخذْتُها منكَ ، وهِىَ تعويضٌ أيضًا عَمَّا أصابَكَ بسببى ! » .



فلمَّا أمسـكَ فرحات بالدنانيرِ بينَ يَدْيهِ تناسَى آلامَ الضـربِ ، لكنَّهُ بَقِـىَ غاضبـًا مِنْ « صبيِّهِ » ، وظلَّ يفكِّـرُ فى طريقةٍ يُعاقِبُهُ بهَـا ، وهو غيرُ مُتنبِّهٍ حتَّى تلكَ اللَّحظةِ أنه هُوَ السلطانُ نفسُهُ ! .

⑮ مائة دينار وفوقها دينار واحد !!

وضعَ تابعُ السـلطانةِ الصندوقَ الذِى أَرْقدوا فيـه قوتَ القلوبِ عَلى ظهرِ حمارٍ ، وربطَ حولَهُ أكياسًـا تظهرُ مِنْ فوهاتِها بضائعُ مختلفةٌ ، وحرصَ أن يختارَ الشـوارعَ الخلفيةَ وهُوَ فِى طريقِـهِ إلى الميناءِ؛ لِكَىْ لا يُلفتَ إليهِ الأنظارَ . لكنَّ الصندوقَ كانَ كبيرَ الحجمِ ، فاختلَّ توازنُهُ فوقَ ظهرِ الدابةِ ، وكادَ يسـقطُ لولاَ أَنْ سارعَ التابعُ بحملِهِ عَلَى كتفَيْهِ



وهُوَ واقفٌ وسطَ طريقٍ ضيِّقٍ ، انتظارًا لمرورِ مَنْ يساعدُهُ فِى إعادةِ وَضْعِ الصندوقِ فوقَ ظهرِ الحمارِ .

ويشاءُ حظُّ فرحات ، بعدَ خروجِهِ مِنْ قصرِ السلطانِ مضروبَ الظهرِ مُثقلاً بدنانيرِ رئيسِ الحرسِ ، أَنْ يكونَ أولَ مَنْ يراهُ تابعُ السلطانةِ الذى نَاداه : « يَا صَاحبى .. هَلْ يُمكِنُ أَنْ تُساعِدَنى لأتغلَّبَ عَلى عِنَادِ هذا الحمارِ الأحمقِ ؟! » .

وبنظرةٍ واحدةٍ إلى الصندوقِ الكبيرِ الثقيلِ ، أدركَ فرحات أَنَّ سائقَ الحمارِ لا يُمكِنُ أَنْ يكونَ لصًّا يستدرجُهُ بحيلةٍ ليسرقَ دنانيرَهُ ، فتقَدَّمَ فِى شهامةٍ وهُوَ يقولُ فِى حماسٍ : « الحملُ أثقلُ مِنْ قدرةِ هذهِ الدَّابةِ المسكينةِ .. لولاَ أنه حمارٌ أبكمُ لاشتكَى ظلمَ الإنسانِ ! » ..

ثُمَّ أضافَ مُتذكِّرًا حالَهُ الشخصىَّ : « الحمارُ يخدمُنا بإخلاصٍ ، ثُمَّ لا ينالُ منَّا إلا الضربَ والتحقيرَ ! ! » .

لكنَّ فرحات لَمْ يكتفِ بالكلامِ وحدَهُ ، بَلْ سارعَ يعاونُ التابعَ فِى حملِ الصندوقِ وإعادةِ وضعِهِ عَلى ظهرِ الحمارِ . قالَ مُقترحًا على التابعِ : « لكىْ نتفادَى سقوطَ البضائعِ ، سأسندُ الصندوقَ مِنْ عَلى يمينِ حمارِكَ ، وعليكَ أَنْ تُمسِكَ به مِن عَلى يسارِهِ ، فنحافظَ على توازنِهِ » .

وكَمْ كانَتْ سعادةُ التابعِ كبيرةً بعثورِهِ عَلى مثلِ هذا الرجلِ الذِى تَطوَّعَ ليعاونَهُ فِى مهمتِهِ الصعبةِ ، خاصةً عندمَا استشفَّ الإخلاصَ فِى لهجةِ فرحات والسماحةَ فِى ملامحِ وجهِهِ .. قالَ التابعُ لنفسِهِ : « هَذَا الرجلُ نوعٌ نادرٌ مِنَ الناسِ ، يساعدُ دونَ انتظارٍ لجزاء » .

وأرادَ فرحات أَنْ يسألَ عنِ المكانِ الذِى ينْوِى صاحبُ الحمارِ أَنْ يذهبَ إليه ببضائعِهِ ، لكنه خَشِىَ ظنَّ الرجلِ مِنْ أنه يريدُ الاعتذارَ عَنْ مساعدتِهِ

بقيةَ الطريق .. وكأنَّ التابعَ قَدْ قرأ أفكارَ فرحات ، فسرعانَ مَا قالَ : « هَذِه بضاعةٌ أذهبُ بهَا إلى الميناءِ ، فإذا كانَ فى مصاحبتِكَ لِى مَا يُعطِّلُكَ ، أستطيعُ أنْ أبحثَ عَنْ شخصٍ آخرَ يساعدُنى » .

وفى حماسٍ قالَ فرحات : « أنا صيَّادٌ ، وطَريقِى فِى الصباحِ وبعدَ الظهرِ إلى شاطئِ الصيدِ قُرْبَ الميناءِ » .

قالَ التابعُ ليقطعَ الصمتَ ويسامرَ الرجلَ الذى ساعدَهُ : « هَذِه بضاعةٌ لابدَّ أنْ أبيعَها بشروطٍ ، ولا أدرِى هَلْ أجدُ بسرعةٍ مَنْ يقبلُ شُروطِى ! »..

وثارَ حبُّ الاستطلاعِ عندَ فرحات ، فسألَ : « ما دمْتَ ستُعلِنُ تلكَ الشروط فِى الميناءِ ، فهلْ أستطيعُ معرفتَها ونحنُ فِى الطريقِ إلى هناكَ ؟ » .

قالَ التابعُ : « هَذَا الصندوقُ فيهِ تحفةٌ ثمينةٌ كانَتْ تمتلكُها سيدتُنا السلطانةُ ، ولا تريدُ أنْ يعرفَ أحدٌ مِنْ أهلِ المدينةِ أنهَا تبيعُها ، لذلكَ تشترطُ ألا يشترِىَ الصندوقَ إلاَّ شخصٌ تكونُ سفينتُهُ مُسافرةً فِى الحالِ ، ولا يفتحَهُ ليعرفَ مَا فيهِ إلاَّ بعدَ يوم مِنْ إبحارِ السفينةِ وابتعادِهَا فِى البحرِ عَنِ الميناءِ » .. قالَ فرحات : « هَذِه شروطٌ صعبةٌ .. لكنْ هَا قَدْ وصَلْنا ، وهذَا هُوَ سوقُ الميناءِ الذى يشترى منهُ التجارُ البضائعَ التِى تأتِى بهَا السفنُ ويبيعونَ فيه السلعَ الَّتِى تأخذُها السفنُ لبيعِهَا فى البلادِ الأخرى » .

واكتشفَ فرحات أنَّ هناك ركنًا خاصًّا فِى السوقِ لبيعِ وشراءِ الصناديقِ المُغلقةِ الَّتِى تمَّ إنقاذُها مِنَ السُّفنِ الغارقةِ تشبهُ ذلكَ الصندوقَ المُغلَقَ الذى لاَ يعرفُ المشْترِى مَا بداخلِهِ ، كنوعٍ مِنَ المُضاربةِ والاعتمادِ عَلَى الحظِّ .

وسمعَ التجارُ شروطَ تابعِ السلطانةِ ، فعرضَ تاجرٌ عشرةَ دنانيرَ ، وزادَ آخرُ خمسةَ دنانيرَ ، واستمرَّ المزادُ حتَّى وصلَ الثمنُ إلى مائةِ دينارٍ .

قالَ التابعُ لفرحات عندمَا وجدَ نفسَهُ قَدْ تَأخَّرَ كثيرًا فِى العودةِ إلَى سيدتِهِ السلطانةِ ، خاصةً وهو يجهلُ حقيقةَ مَا فِى الصندوقِ : « هَذا ثمنٌ قليلٌ لمثلِ هذَا الصندوقِ وللتحفةِ التى يحتويهَا ، ولِكَىْ أردَّ إليكَ جميلَكَ فى مُساعدتى ، سأتركُ لكَ الصندوقَ لتُكمِلَ المزادَ بنفسِ الشروطِ إذَا أعطَيْتَنى المائةَ دينارٍ ، وفوقَهـا دينـارٌ واحدٌ لِتُصبحَ صاحبَ أكبرِ ثمنٍ حَتَّى الآنَ .. وحلالٌ عليكَ أَنْ تأخذَ أىَّ فرقٍ بالزيادةِ عندمَا تنجحُ فِى بيعِ الصندوقِ بشروطِ مولاتِنا » .

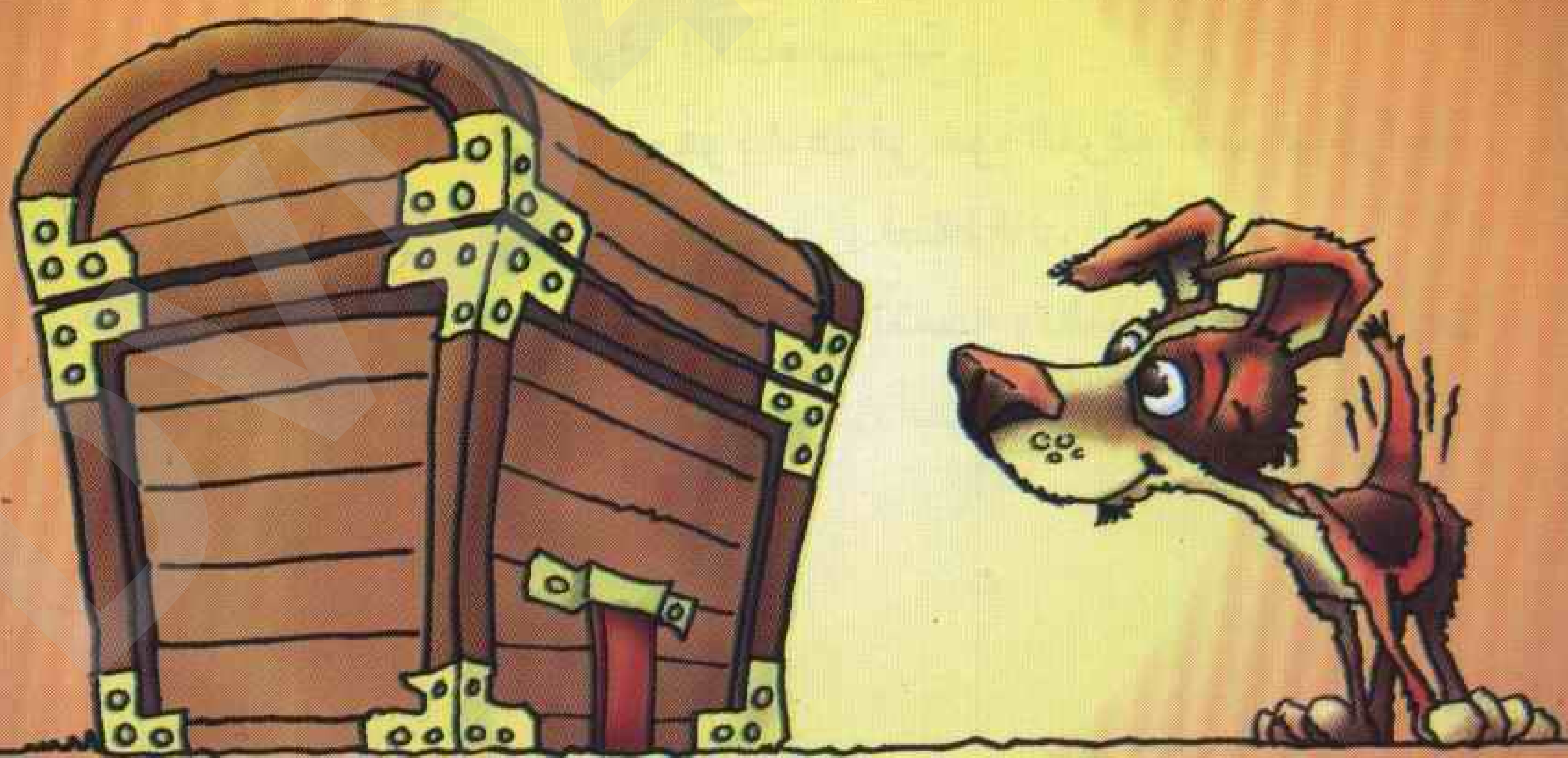
لم يطُلْ تردُّدُ فرحات ، فأخرجَ المائةَ دينارٍ التى أخذَهَا مِنْ رئيسِ الحرسِ ومعهَا الدينارُ الذِى أخذَهُ منَ السلطانِ ، وأعطاهَا للتابعِ وهو يقولُ :

« وعَلى أسْوأ الاحتمالاتِ ، سأبيعُهُ بالمائةِ دينارٍ نفسِهَا » .

وهكذَا انصرفَ التابـعُ ، وتـركَ فرحات يحـاولُ عرضَ الصنـدوقِ للبيعِ لأحدِ أصحابِ السُّفُنِ التِى حلَّ ميعادُ إقلاعِهَا .

وفَجأةً تذكَّـرَ فرحات شروطَ القـردِ .. قالَ فِى فزعٍ : « سينقضِى النهارُ بغيرِ أنْ ألقِىَ شبكةَ بعدَ الظهرِ أو المساءِ ، فيتوقَّفُ عطاءُ القردِ لِى إلَى الأبدِ ! ! » .

وتلفَّتَ فلَمْ يجدْ حَوْله مُشترينَ جُددًا ، فقـالَ لنفسِـهِ : « سأعـودُ الآنَ إلـى بيتـى أتركُ فيهِ الصندوقَ ، ثُمَّ أذهبُ إلى البحرِ ألقِى « شبكةَ المساءِ » ، وفِى فجرِ الغدِ أستأنفُ مُحاولتى لبيعِ الصندوقِ » .



١٦ حظى قرّر أن يُصالحنى أخيرًا !

عادَ فرحات بالصندوقِ إلى بيتِهِ وقَدْ حملَهُ على ظهرِ حمارٍ استأجرَهُ .. ولضيقِ الوقتِ وضعَ الصندوقَ خلفَ بابِ الدخولِ بعيدًا عنِ المكانِ الذى ينامُ فيه أهلُ البيتِ ، وانطلقَ يجرى إلى البحرِ حيثُ ألقى « شبكةَ المساءِ » .

وبعدَ أَنْ باعَ السمكَ رجعَ فورًا إلى بيتِهِ وقَدْ أرهقَهُ المجهودُ الذى بذلَهُ طِوالَ النهارِ ، فاستلقَى بجوارِ الصندوقِ ، وسرعانَ مَا استغرقَ فِى نومٍ عميقٍ ..

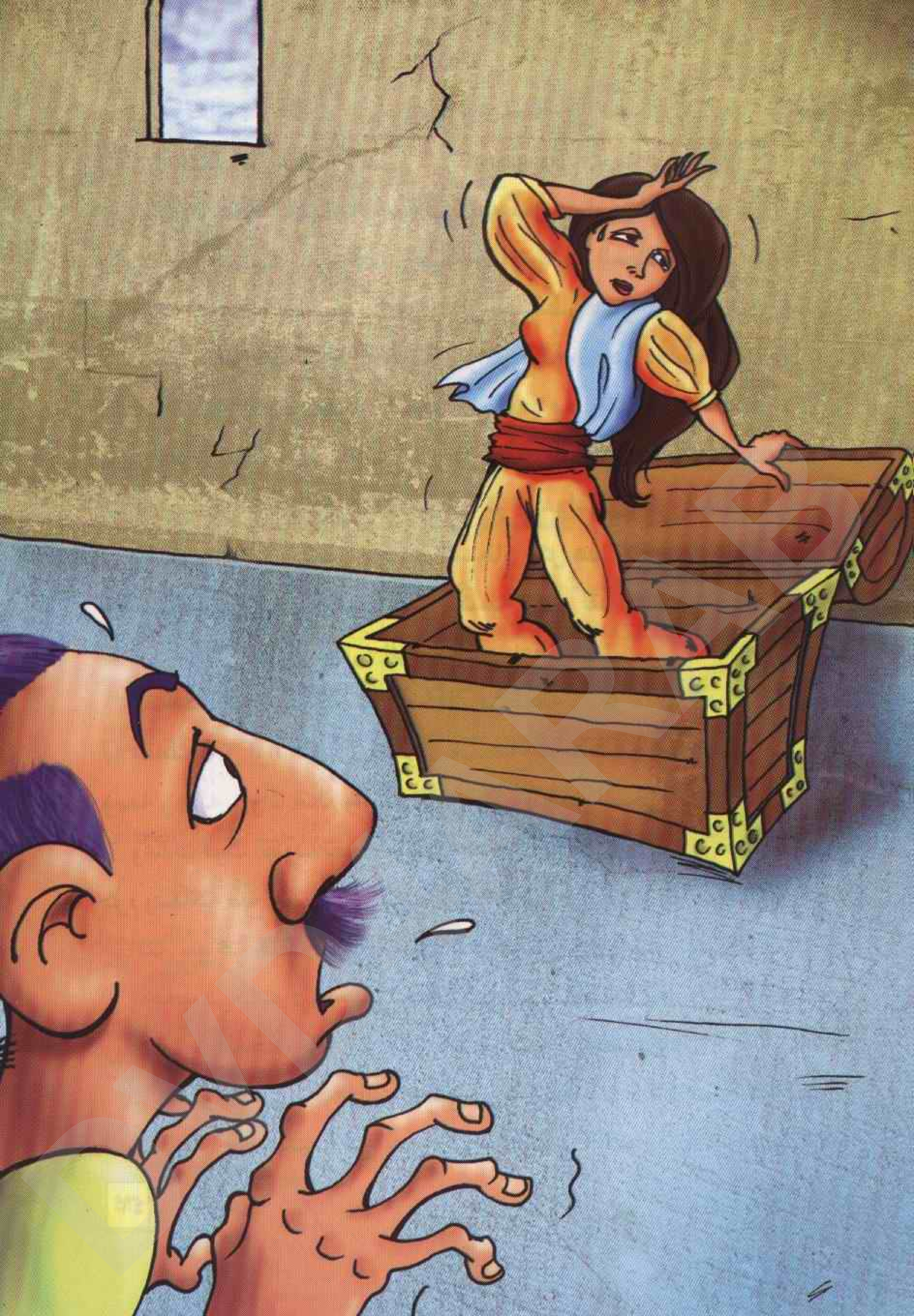
وعندَ منتصفِ الليلِ أيقظَهُ صوتُ بكاءٍ وأنينٍ منْ مكانٍ قريبٍ ، وتلفَّتَ حولَـهُ فلم يجدْ غيرَ الصنـدوقِ ، فتَملَّكَهُ الخوفُ وهمسَ لنفسِـهِ بصوتٍ مُرتعِشٍ : « فى هذَا الصندوقِ جِنٌّ محبوسٌ ، لهذَا كانَتِ السلطانةُ حريصةً عَلى إرسالِهِ إلى أبعدِ مكانٍ فى الدنيَا ! ! » .

ومـرةً أخرى سمعَ صوتًـا يبكى ويقولُ : « افتحُوا .. سـأموتُ .. بعضَ الهواءِ ! » .. قالَ فرحات لنفسِهِ : « هَلْ منَ المعقولِ أن يحتوىَ هـذَا الصندوقُ عَلَى شـخصٍ تُريدُ السلطانةُ التخلُّصَ منه ؟! « .. ثُمَّ رفعَ صوتَهُ وسألَ فِى حذرٍ : « هَلْ أنتَ إنسٌ أم جِنٌّ ؟! » .

ووضعَ أذنَهُ عَلَى سـطحِ الصندوقِ ، فسـمعَ بكاءً يُذيـبُ القلوبَ وصوتًا رقيقًـا خافتًا يُكرِّرُ ويقـولُ : « أنْقِذْنى وافتحِ الصندوقَ .. أَنَا قوتُ القلوبِ مُغنيَّةُ السلطانِ ! » .. وزالَ تردُّدُ فرحات وتَملَّكَتْهُ شهامتُهُ ، فأحضرَ أداةً كسرَ بهَا قِفْلَ الصندوقِ ، ورفعَ الغطاءَ بسرعةٍ ..

وتَراجَعَ إلَى الخلفِ مذعورًا وهُوَ يشاهدُ فِى ضوءِ الغرفةِ المُعتم فتاةً رائعةَ الجمالِ تنهضُ مِنْ رقدتِهَا فِى الصندوقِ ، فسقطَ فاقدَ الوَعْى ! ! .

وعندما أفاقَ وجدَ قوتَ القلوبِ بجوارِهِ تُنعشُهُ وتُطمئِنُهُ وتسألُهُ : « أينَ أَنَا ؟! وكيف جئْتَ بِى إلـى هُنَا ؟! ومَـنْ أنْتَ ؟! » ..



ابتسمَ وقالَ : « يظهــرُ أَنَّ حظِّى قرَّرَ أَنْ يصالحنى أخيرًا .. لقد ظننْتُكِ مِنَ الجنِّ فوجدْتُكِ مِنْ ألطفِ الإنسِ .. » فضحكَتْ وطلبَتْ ماءً وطعامًا ..

ووضعَ فرحات أمامَها مَا وجدَهُ فِى البيتِ مِنْ عصائرَ وفطائرَ وحَلْوى وهو يحْكِى لَهَا حِكَايته .. ثُم قصّت عليه حكايتَها مَعَ السلطانةِ وأضافَتْ :

« وقد تُصيبُكَ الدهشــةُ إذَا عرفْتَ أَنَّ الســلطانَ هُــوَ الوحيدُ الذى يُمكن أَنْ يلعبَ معكَ لعبةَ الحظِّ العجيبةِ ، وأنا وَاثقةٌ أنه هُوَ نفسُــه الذِى تظنُّهُ صبيَّكَ الزَّمَّارَ الذى علَّمْتَــهُ الصيدَ ، ثُمَّ لعبَ معكَ تلكَ اللعبةَ الخطرةَ فِى قَاعةِ العرشِ بالقصرِ السلطانــىِّ .. وإذا ذهبْتَ إليــه وجعلْتَــهُ يعــرفُ أنننِى ضيفةٌ فِى منزلِكَ ، سيكونُ هذا سببًا لإكرامِكَ وإغداقِ الثروةِ عليكَ ! » .

قالَ فرحات : « وكيفَ يُجَازى السلطانُ بكلِّ هذَا الأذَى مَنْ علَّمَهُ حِرفةً يتكسَّبُ منهَا وجعلَــهُ شريكًا فِــى مكْسبِهِ ؟! .. لقد أمرَ جنودَه فضربُونِى مائةَ جلدةٍ فِى مقابلِ دينارِهِ الواحدِ الذى أعطاهُ لى ! » .

فضحكَتْ قوتُ القلوبِ وقَالَتْ تُخفِّفُ مِنْ ضيقِهِ : « كلُّ ما فعلَهُ معك لم يقصدْ به عقابَكَ ، بل أرادَ فقط أَنْ يتسلَّى ! » .. صاحَ فرحات مُحتجًّا : « هو يتسلَّى ومعه رجالُهُ ، وأنا أتألَّمُ وأبتلعُ الإهاناتِ وأتحمَّلُ السخرياتِ ! ! » .

وعادَتْ قوتُ القلوبِ تضحكُ وتُطيِّبُ خاطرَهُ ، وهو يُلبِّى لها كلَّ طلباتِها فِى كرمٍ وسماحةِ طَبْعٍ حتَّى قالَتْ فِى إعجابٍ وتقديرٍ : « أنا لمْ أرَ بينَ الرجالِ مَنْ هُوَ فِى مثلِ سماحةِ خلقِكَ ونبلِ مقاصدِكَ يا فرحات .. هَلْ تعيشُ بمفردِكَ ؟ » ..

أجابَ فرحات : « أختِى تعيشُ مَعِى هِىَ وأولادُها بعدَ وفاةِ زوجِها ، والحمدُ للهِ أصبحْتُ قادرًا أَنْ أُنفقَ عليهم بسخاءٍ هذه الأيام ! » .

قالتْ قوتُ القلوبِ : « إذَنْ أعْطِنى ورقةً وقلمًا ودواةً لأكتبَ رسالةً إلــى السلطــانِ ، تحملُهــا فى الصباحِ بنفسِكَ إلــى القصرِ ، ولا تُسلمهَــا إلاَّ

إلى السلطانِ نفسِهِ مهمَا حدثَ ، وستنالُ منه إنْ شاءَ اللهُ مكافأةً لم تحلُمْ بِهَا قط .. » .

قالَ فرحات وهُوَ يبحثُ عَنِ الورقِ والقلم بينَ الأدواتِ المدرسيةِ لأبناءِ أختِهِ : « لستُ فِى حاجةٍ إلى مكافآتِهِ .. إنهَا دينارٌ واحدٌ فوقَهُ مائةُ جلدةٍ تُحطِّمُ ظهرَ جَمَل ! » ..

فعادَتْ قوتُ القلوبِ تضحكُ مِنْ كلِّ قلبِهَا وهىَ تقولُ لفرحات : « لَمْ أرَ مَنْ هو أكثرُ منكَ ظُرفًا وصراحةً ونُبْلاً .. وأرجُو أنْ تفوزَ بمَا تستحقُّ يا أكرمَ الرجالِ » .

⑰ هناك شيء هام وغريب !!

عندمَا عادَ فرحات مبكرًا فِى اليومِ التالى بعدَ إلقاءِ « شبكةِ الصباح » ، أرسلَتْهُ قوتُ القلوبِ إلى تاجرِ ملابس تعرفُهُ ، فعادَ وقدْ ارتدَى أفخرَ الملابسِ وأكثرَهَا مَدْعاةً للاحترام والتبجيلِ .

قالَتْ له : « الآنَ سيفتحونَ لكَ أبوابَ قصرِ السلطانِ بغير عراكٍ ولا مشقَّةٍ .. » وسلَّمَتْهُ رسالتَها إلى السلطانِ ...

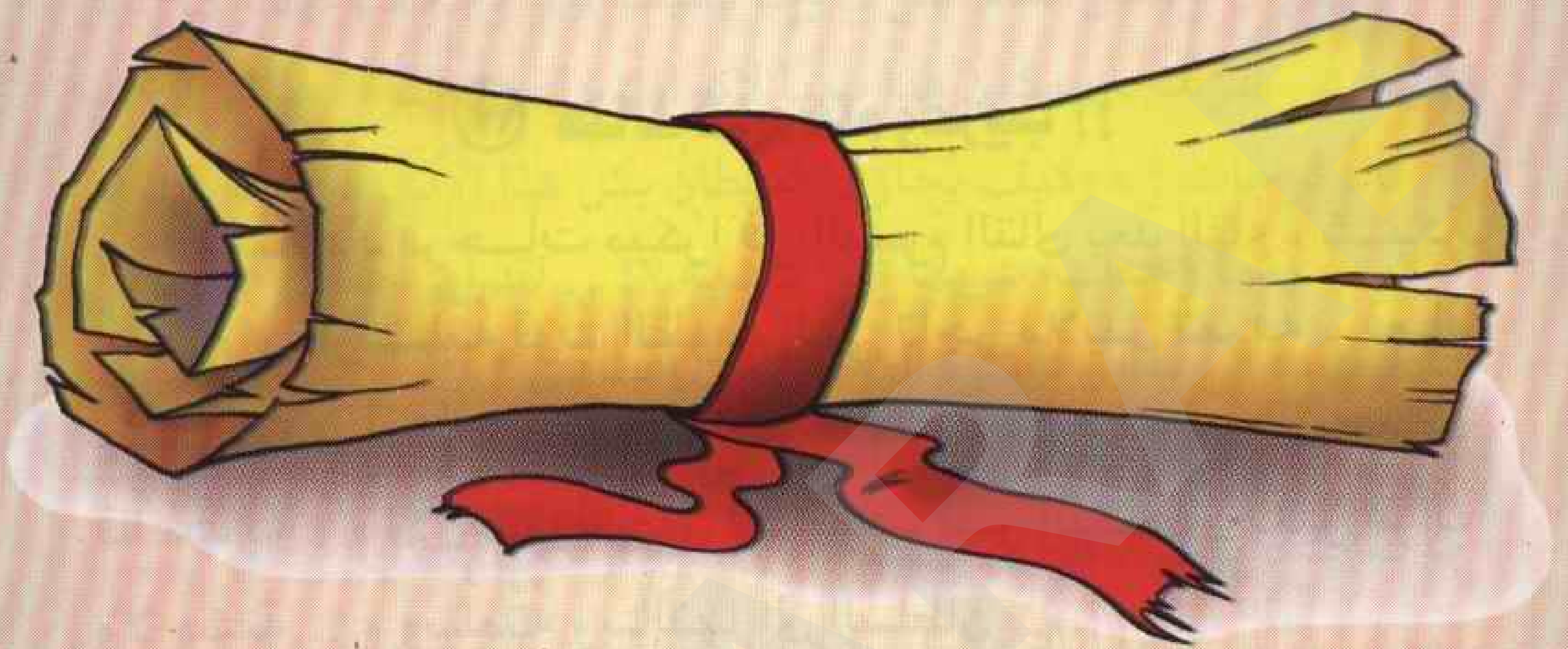
وعندَ مدخلِ القصرِ قابلَهُ رئيسُ الحرسِ صندل ، فقدَّمَ تحيةً لفرحات تختلفُ كثيرًا عَنْ كلِّ مرةٍ سَابقةٍ ، ولم يجادلْهُ كثيرًا عندمَا طلبَ مقابلةَ السلطانِ ، بل قادَهُ فورًا لمقابلةِ الوزير . وهَبَّ الوزيرُ واقفًا عندمَا دخلَ عليهِ ذلكَ « السيد » الذِى أصبحَتْ ملابسُهُ تؤكِّدُ ارتفاعَ مكانتِهِ ، وحاولَ أَنْ يعرفَ منهُ سببَ إلحاحِهِ فِى مقابلةِ السلطانِ ، لكنَّ فرحات أصرَّ عَلَى الكتْمَانِ فلم يَسَعِ الوزيرَ إلا إخطارُ السلطانِ بأَنَّ فرحات يطلبُ مقابلتَهُ ..



قالَ الوزيرُ للسلطانِ : « لقد تَغيَّرَ هذا الرجلُ كثيرًا ، ولم يعدْ ذلكَ السانجَ قليلَ الخبرةِ الذِى طالمَا أضحكَنا .. » .

ودهشَ السلطانُ عندما طلبَ فرحات أَنْ يسلِّمَ إليه رسالةً عَلَى انفرادٍ ، لكنه أحسَّ أَنَّ فرحات جادٌّ فى طلبِهِ ، فأخلَى مجلسَهُ حتَّى لَمْ يبقَ معهمَا أحدٌ .

قالَ فرحات بعدَ تردُّدٍ قليلٍ ، وهو لا يعرفُ كيف يبدأُ حديثَهُ : « الأخبارُ المُفرِحَةُ قَدْ تقتلُ يا مولاى ، مثلَها مثلَ الأخبارِ المُحزِنةِ !! » .



انتابَتِ السلطانَ الدهشةُ وتَساءلَ : « وهلْ مِنْ شىءٍ مُفرحٍ يُمكِنُ أَنْ يُزيلَ أحزانَ موتٍ مُفاجِئ لشابةٍ جميلةِ الوجهِ والصوتِ ؟! » .. قالَ فرحات فِى غموضٍ : « هَلْ رأيْتَها بنفسِكَ يا مولاىَ بعدَ أَنْ أبلغوكَ بوفاتِهَا ؟ »

كانَتِ الطريقةُ التِى ألقَى بهَا فرحات ذلكَ السؤالَ مفاجأةً مذهلةً للسلطانِ ، فَتأمَّلَ فِى ذهنِهِ الهدفَ الذى يرمِى إليه الصيادُ مِنْ سؤالِهِ وهُوَ يقولُ له : « حدثْ كلَّ شىءٍ وأَنَا أتعلَّمُ الصيدَ معكَ ! » .. ثُمَّ همسَ لنفسِهِ : « هناكَ شىءٌ هامٌّ وغريبٌ وراءَ هَذِه المقابلةِ التِى طلبَها فرحات ! .. » .

قــالَ فرحــات : « وإذا قلتُ إنَّ هناكَ وقائعَ غيرَ دقيقةٍ فيمَا أبلغوكَ به يا مولاىَ ، فهلْ يُمكِنُ أنْ تصدِّقَ ذلكَ ؟! » .

ومرةً ثانيةً توقَّفَ السـلطانُ عنِ الإجابةِ ، وهو يحدِّقُ كالأبلهِ فِى وجهِ فرحات ! ! ..

هُنَـا مدَّ فرحات يدَهُ برسـالةِ قوتِ القلوب .. وفَتحَ السـلطانُ الرسـالةَ وبـدأَ يقرأُ ... ثُمَّ رفعَ عينيْهِ عنِ الورقِ ، وأخذَ يتنقَّلُ بَبَصرِهِ بينَ الرسـالةِ وفرحات ! ! .

وفجأةً صاحَ : « هلْ هذا معقولٌ ؟! .. أينَ هِىَ ؟! تَكلَّمْ بسـرعةٍ .. هَـلْ هِىَ التِـى كتبَـتْ هَـذِه الرسـالةَ حقًّا ؟! وأينَ كَتَبَتْها ؟! وكيفَ سلَّمَتْها إليكَ ؟! .. الخطُّ خطُّها .. كيفَ عثرْتَ عليهَا ؟! »

وَفِى هدوءٍ قالَ فرحات : « هِىَ مُعزَّزةٌ مكرمةٌ فِى بيتِى ... »

١٨ إذا أخذتَ من السُّلطةِ دينارًا !!

وكانَتْ سعادةُ السلطانِ لا توصفُ وهو يستقبلُ قوتَ القلوبِ ضاحكةً كلُّها نشـاطٌ وحيويةٌ .. ثُمَّ التفتَ إلى فرحات وقالَ مبتسمًا : « أنت اتفقْتَ مَعِى أَنْ نكونَ شـريكَيْنِ فِى الصيدِ فقطْ ، فكيفَ تشـاركُنى فِى رضاءِ هَذِه الشَّابةِ عنَّا وتقديرِهـا لنَا نحنُ الاثنيْنِ ؟ » قالَ فرحات ضاحكًا : « اسألْها يَا سـيدى .. إنهَا لَمْ تسـمحْ لِى أَنْ أسعدَ بسـماعِ أغنيةٍ واحدةٍ مِنْ أغانيهَا الجميلـةِ مَعَ أننى دفعْتُ لإنقاذِهـا مائةَ دينارٍ ، وفوقَهـا الدينارُ الذى كلَّفنى مائةَ جلدةٍ حصلْتُ عليها بأمرٍ كريمٍ منكُم يَا مولاى ! ! » .

وانطلقَ السـلطانُ يضحكُ مِنْ جديـدٍ ، ثُمَّ أمرَ له بخمسـينَ ألفَ دينارٍ وبملابسَ ثمينةٍ مثلِ ملابسِ السلطانِ نفسِهِ ، كما أهدَى إليه قصرًا تُحيطُ

به حديقةٌ واسعةٌ ، وقالَ له : « أنتَ منذُ اليوم « شيخُ الصيادينَ » ، وكلمَا أردْتَ شيئًا يا معلِمى ، تعالَ اطلبْهُ مِنِّى فَتَجِدهُ فِى الحالِ ، كَمَا ستجدُ الآنَ وفورًا مكافأتَكَ التى أمرْتُ لكَ بهَا مِنْ آلافِ الدنانير ! » .

قالَ فَرحات متظاهرًا بالرفْضِ : « هذَا كثيرٌ يا مولاىَ لأنَّ دينارَكَ بمائةِ جَلدةٍ ، وأنَا لنْ أتحمَّلَ الجلدَ بقيمةِ كلِّ هَذِهِ الدنانيرِ ! ! » .

فانطلقَ الجميعُ يضحكونَ ..



وَفِى صباحِ اليوم التالى ذهبَ فرحات إلى شاطئِ البحرِ ، والتفَّ بشبكةِ الصيدِ ونَادى : « يا سيدَ البحرِ والبرِّ » ، وَفِى الحالِ طلعَ إليه القردُ العجيبُ . قالَ فرحات : « لقد أعطانى اللهُ الكثيرَ وأصبحتَ شيخًا للصيادينَ أرعَى مَصالحهم وأقضِى بينهُمْ وأفضُّ مشاكلهم ، وقَدْ يكونُ هناك مَنْ هو فى حاجةٍ أكثرَ مِنِّى إلى الدنانيرِ العشرةِ كلَّ يوم .. » .

قالَ القردُ : « كنتَ تستطيعُ التكاسلَ عنِ الصيدِ فِى صباحٍ أوْ مساءٍ عندمَا أصبحتَ فِى غيرِ حاجةٍ إلى الاستمرارِ فى الصيدِ ، لكنَّكَ حرصتَ علَى مُقابلتى وإبلاغِى بقرارِكَ .. أنتَ يا فرحات أفضلُ الناسِ وأكثرُهم قناعةً وحبًّا للآخرينَ ! » .



وأرسلَتِ السلطانةُ مرةً بعدَ أُخرى تعتذرُ للسلطانِ عمَّا فعلَتْهُ ، فَقَبِلَ اعتذارَهَا .. لكنَّهُ فِى نفسِ الوقتِ لَمْ يعُدْ يُعطِى لقوتِ القلوبِ إلا وقتًا محدودًا ، لكىْ يتفادَى غضبَ زوجتِهِ ، وحتَّى يجدَ الوقتَ الكافِىَ للنظرِ فِى شئونِ الدولةِ والرعيةِ ..

وذاتَ ليلةٍ قالَتِ السلطانةُ لزوجِهَا السلطانِ : « كثيرًا ما سمعْتُ قوتَ القلوبِ تتحدَّثُ باهتمامٍ وإعجابٍ عَنْ فرحات ! » .

فقالَ السلطانُ لزوجتِهِ السلطانةِ : « وأنا كثيرًا ما سمعْتُ فرحات يتحدَّثُ بالخيرِ والإعجابِ عَنْ قوتِ القلوبِ ! » .

وهكذا تزَوَّجَ فرحات مِنْ قوتِ القلوبِ ...



لكنَّ فرحات حرصَ أَنْ يضعَ عَلَى بابِ قصرِهِ لوحةً رسَمَ عليهَا وجهًا ضاحكًا ، كتبَ بجوارِهِ يقولُ : « إذَا أخذْتَ مِنَ السُّلْطَةِ دينارًا ، فلا تفرحْ .. فقد تُعطيكَ فِي مقابلِهِ مائةَ جلدةٍ ! » .

تمت





أنشطة حول القصة :

- نقترحُ عليكَ أن تشتركَ فى أحد أو كُلِّ الأنشطة التالية :

١ - فِى رأيكَ ، لماذَا كانَ فرحات يتوقَّعُ المعاملةَ الظالمةَ مِنْ أصحابِ السلطة ؟ وهلْ تؤيّدُ أحداثُ القصّةِ توقعاتِهِ ؟ بيّن المواقفَ التِى عَامله فيهَا أصحابُ السلطةِ بكرم وَسَخاء .

٢ - إذَا أصبحتَ ذَاتَ يوم صاحبُ سُلطة ، فهلْ تتعاملُ مع البُسطاءِ منَ الناس مثلمَا تعاملَ بعضُهم مَعَ فرحَات الصّياد ؟ .

٣ - هلْ تعتبرُ فرحات شخصًا ساذجًا ، أمْ هُوَ شديدُ الحِرْص ، أمْ أنَّه إنسانٌ تتغلّبُ دوافعهُ الطَّيبة عَلَى مَا يقابلهُ فِى حَياته مِنْ مواقف تبدُو قاسية أَوْ غير عَادلة ؟ .

٤ - مَا رأيكَ فِى موقفِ السلطان مِنْ قوتِ القُلُوب ؟ وَمَا رأيكَ فِى موقفِ السلطانةِ منهَا ؟ وإذَا طلبنَا منكَ أنْ تقدّمَ نصيحَةً للسلطانِ أو للسُّلْطانةِ فِى شأنِ هَذِه المَواقف ، فماذَا تقولُ ؟ .

٥ - تمتزجُ فِى هـذِه الروايةِ المَواقفُ الجَادّة بالمواقفِ الضاحكَةِ ، بيّنْ رأيكَ فِى أثر هـذَا الامتزاجِ لإثارةِ عَناصر الجَاذبية والتشويق .



٦ - لَوْ أنكَ عانيْتَ بعضَ مَا عَاناه فرحَاتُ الصَّياد ، ثُـمَّ تغيّرت أحْوالـك ، وبعدهَا كتبـتَ مُذكَراتكَ ، فكيفَ تضعُ خاتمتهَا وأنتَ تُوجهُ حديثَكَ لكلِّ بطلٍ منْ أبطالِ هذِه القصَّة ؟ .